

قُصُصُ الْبِرِّ وَالْإِسْرَافِ

الاولى

الدرزية الحسنية
تأليف اجتماع مبادئ

بتكليف
السيد حنا ابى راشد

طبعت على نفقة

الفراء وتقدير

إذا جاز للكاتب الغربي ، أن يهدي إحدى مؤلفاته القيمة ،
لعالم من الاعلام العلماء . فقد جاز للرحالة الشرقي ، أن يرفع اول
قصصه التاريخية ، لرافع علمي الصداقة والاخلاق :

الركنور المحمديك عمر

رئيس اللجنة التنفيذية لمؤتمر الرفق بالانسان بمصر

هذه هي سنة الادب الراقى ، وسنة الاجتماع الشرقي ، توأمان
لا ثالث يعلوهما في الوجود ، الا سنة الله في خلقه ، ولن تجد
لسنة الله تبديلا .

قالى الصديق الصادق ، اقدم قلبي وفكري . . .
والى نصراء المرأة الشرقية ، اقدم الدرزية الحسناء . . .
والى نصراء الناشئة المصرية ، اقدم حلقتي الاولى . . .
وعلى بساط المؤتمر النسائي العالمي ، أطرح نتيجة أبحاثي
التاريخية . . .

بنهاية أغسطس سنة ١٩٣٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القصة الاولى

قصة شاذة، لا فذة هي، ولا مبتذلة ، سطر القرطاس لبابها ،
مداه دموع المرأة ، ولحمته أنينها ...

فكرة جديدة ، حبرت معانيها ، مداد العادات ، وسردت
مواقفها ، معجزات الحوادث ، وسجلت كلماتها ، لغة الصحراء ،
وجمت شتاها ، يد القدر والقضاء ، ورسمت خطوطها ، قطرات
الدماء ، ونقشت خرائطها ، سيوف النور والنار ...

قصة لا شرقية وهمية ، ولا غربية خيالية . سراجها قلب
وزيتها نور، وكنهها حب . فن طالعها ، وجب عليه التفكير . ومتى
فكر راجع . ومتى راجع تأمل . ومتى تأمل محص . ومتى محص حرر
ومتى حرر نقد . ومتى نقد حرم . ومتى حرم أباح . ومتى أباح البيان
بسيئة ، أجاد المنطق بحسنة . ومتى تعادلت الكفتان ، أو رجحت
احدهما على الأخرى ، نطق العدل بحكمه ، ومتى نطق العدل ،
تجلت الحكمة في هذا السفر ...

مصر ٧ أغسطس سنة ١٩٣٠

الرحالة

الدرزية الحسنة

قصر السويداء:

بلغ الامير يحيى الحمدان ، أمير جبل الدروز ، في فجر القرن التاسع عشر ، منتهى ما يصل اليه أمير ، من أمراء العرب ، في صحراء سوريا ، من شجاعة وشهامة وجبروت
وفي تمام بدر رمضان المكرم ، من عام ١٨٢٠ . كان الامير جالساً ، في قصر نسيبه ، الشيخ يوسف الحمدان ، بتجران والمنشدون يطربون الفرسان ، باناشيدهم الوطنية الحماسية . يمدحون المجاهدين الشجعان ، الذين أبلوا بلاء حسناً ، في حرب الوهايين . ويذمون الكسالى ، المتعدين كالنساء العرائس ، فيردد الجميع ، اللازمة المشهورة عندهم :

« الله يعز بلادنا ، بحياه النبي المصطفى ، من كل ظالم وغدار »
فطرب أحدهم ، وأنشد الامير يحيى بحماس ، الايات الآتية (١) :

(١) من قصيدة لابي الفضل محمد بن مياس العرمانى من عرمان ناحية صرخند . من أعمال جبل الدروز وفي صرخند وجدت صخرة اللات التي عبدها

« أصبحت علامة الدنيا باجمعها

يشد نحوك من اقطارها النجب «

« بات على كبد الجوزاء منزلة

تحفها من جلال حولها الشهب «

« ما نال ما نلت من فضل ومن شرف

سراة قوم وان جدوا وان طلبوا «

وبينما القوم ، في انشراحهم يطربون ، وصانع القهوة ، في وسط
المضافة ، يوقع على المصحح انغامهم . سمع الامير وقع حوافر خيل ،
تقترب من القصر ، فأرسل الفارس يستطلع الخبر . . . ولم ينتظر
لحظة . حتى دخل الحادي ، يحدي بصوت كله شجون ، وهو
يعزف على القيثارة ، على وتر يحرك القلوب شوقاً . والفرسان من
وراءه ، كانوا على جماها ، خلة بنشوة النصر . . . فبادره الامير
بقوله : خير ان انشاء الله يا متعب ، يا حادي بن معروف . . .
— النور بوجهك يا أمير ، البشر بحفيدة ، هي قمر السويداء . . .

الانباط والعرب ، وقلعتها شاهدة أبد الدهر على عظمة تلك البلاد . وكان منها
الى بغداد طريق مرصوف مسافته عشرة أيام على المهجين . وقد طمست اثاره
اليوم . راجع صفحة ٢٢ من تاريخ جبل الدروز للمؤلف

— علامك ، افصح . . .

— في خدر ، يصونه العم وابن الخال ، ابصرت خفيذة الامير
نور السويداء . . .

— بارك الله في حسبها ونسبها .

— وأما الطفلة يا أمير ، فقد متم بها الله ، بوساطة الحاكم بأمره ،

بمزايا ثلاث :

الاولى — هيكل لون بشرته ، كثلج صنين « لبنان » ينعكس
عليه البدر ، لية كاله . . .

والثانية — عينان سوداوان ، يخرقان حجب القلوب ، بقوة
جاذبيتهما ، ووسعتهما . . .

والثالثة — جمال نوراني ، كجوهرة ، تنعكس عليها أشعة
الشمس . لو وقفت بجانبها ، الالهة الجمال عشروث ، تلجلت من نفسها

— اذن ، بشر الدروز ، يا حادي بن معروف ، بفتح قريب ،
ونصر اكيد ، والويل لمن عس خالها ؟ ! ! !

فوقت الفرسات ، وامتشقت الحسام ، واقسمت بالسر
المكنون ، والكفر المدفون ، والخنجر المسنون . ان من عسها
بشر ، موتاً يموت . . .

فتهلل وجه الامير فرحا وحبوراً وقال : الى السويداء . . .
الى رؤية الحسناء . . .

سهر تم لحر :

في ميدان السويداء ، عاصمة الجبل ، ومقر الامير يحيى ، كان
المهرجان العظيم ، الذي اقيم احتفاء بالمولودة ، وابتهاجاً بانتصارات
الدروز ، المتواصلة في حوران . . .

طافت القبائل ، حول المضارب والخيام ، والكل يمرحون
ويرمحون ، براياتهم العربية ، وطبوظهم البلدية ، زرافات ووحداً .
والسيوف مشهرة بأيديهم ، تحركها زنودهم الشديدة ، بين لاعب
ومبارز . والكهول يشعلون النار ، والصبية يوزعون الماء ، والنساء
يولمن الولائم ، ويعمرن المناسف . استعداداً لاطعام العشائر ، الذين
اموا السويداء ، بعددها وعددها ، بنخيلها وجمالها ، تلبية لدعوة
أميرهم .

وفي ساحة المهرجان ، أحاطت الزعماء بالامير ، أحاطة السوار
بالمعصم . وعلى رأسه عمامة بيضاء ، كما كليل من زهر الياسمين . ووجهه
المنير ، يكسوه لحية سوداء ، ينخطها الشيب . وعلى كتفه العريض ،

عباءة حمراء ، مزركشة بالقصب المفضض . ومخزم بحزام من جلد ،
معلق فيه ، من الجهة اليسرى ، سيف مرصع بالجواهر المصقول .
وفي وسطه خنجر ، قبضته من ذهب — علامة الشرف . وقد
جلس في قلب مجلسه اهلالي ، كانه النذر بن النعمان ، تعلوه ابتسامه
حلوة ، وترفعه عبارات وهبية ، سدجة . . .

وبينا كان القوم ، في فرح وحبور . كان بالوقت نفسه ، بيت
الحسنة يقطر دماً ، على الفاجعة المرة ، التي أصابت ذلك البيت ،
النكود الحظ . وتحرير الخبر : هو أن والدة الحسناء ، ابت عليها
تفسها ، الا النهوض من فراشها ، لتشارك مع نساء الزعماء ، في ذبح
الذبائح ، وتهيئة الطعام العشائر . التي اقبلت ، من جنوب الجبل وشماله
للاحتفال بحسنائها . وذلك ، قبل أن تغرب الشمس ، على ولادتها .
..... ومن جراء هذا الالهال ، اصيبت كوكب ، والدة الحسناء
بنوبة عصبية ، كانت شراً على حياتها ، حيث ارتفعت الحرارة بسرعة
الى خط بعد الاربعين . . .

ولما كان هذا الحادث الفجائي ، شؤماً على القوم ، في ساعة
افراحهم . كتم الامر عن الامير والزماء . وأرسل زوجها الحارس
فارساً الى دمشق ، لاستحضار الطبيب ، ولكن دون فائدة

ترجى ، حيث المسافة بعيدة ، والوسائط الصحية معدومة ،
والمواصلات السلوكية في الجبل ، لم تخلق بعد . لهذا لم ينتصف
الليل ، حتى غاب الكوكب ، عن نظر الناظرين ، فأنقلبت افراحهم
اتراحا . وماتت الشهيدة ، شهيدة اواجب والاهمال . وقد كان هذا
الحادث ، مضرب المثل ، الى يومنا هذا :

« في الامس كان مهد وفرح ، واليوم صار الحد وترح »

اهوين في الرضاع :

اصبح الصباح ، والجو يدمع ، والنسيم يعتل ، والشمس من
وراء المحيط ، كسفت في كبد السماء ، فامتدت اشعتها القاتمة ، كشلالا
من الدماء ، ينشره الهواء ، وتجذبه الارض ، الى ساحة السويداء ،
لتغوص ... من عظم ذلك الكسوف ، في سويداء القلوب ...
كوكب انتهى نوره ، بانتهاء شبح الوجود . كوكب غاب ،
وكوكب سطع — ذلك صعد الى مدينة السلام ، اللانهاية . وهذا
هبط الى مدينة الشقاء الفانية . هذه هي سنة الطبيعة ... والويل
لمن يقف في طريقها ...

ندبت النادبات ، وسكبت العبرات ، واصطفت الصفوف ،

وانتخت الفرسان ، وعزت المعززين ، وشيخت المشيعين ، نعش
الفقيده ، الى مقره الاخير — والامير يتلقى كلمة الدروز . عظم
الله أجرک ...

فيحييهم : أجرکم عند الله عظيم ...

انقرط عقد القوم ، كل الى بلده . والبعض منهم يتفاءل
خيراً ، برحمة الله . والبعض الاخر ، يتشاءم شراً ، بغضب الطبيعة .
تارکين اليتيمة الصغيرة ، تحت رحمة الله ، تبكي لبان أمها — أم
الطبيعة — التي حرمتها من ثديها ، لتتقمص بهما ، كاملة نامية ...
مرت أساييع ، واليتيمة محرومة من لبان النساء ، مكثفية بلبان
غنية شقراء ، استحضرها لها ، والدها الحارس خصيصاً ... ولما
تشاءم والدها ، بقساوة الطبيعة ، من عدم وجود سيدة درزية ،
يمكنها أن تعيل حسناءه بالرضاع ، أراد أن يقهر الدهر — وقد
جهل أن الدهر لا يقهر — فركب فرسه الحمراء ، وتوجه الى اللجاء
الوعر ، يفتش على ضالته المنشودة ، بين عشائر عرب السلوط . وبعد
طوافه معظم مضافات : جدل وعاصم والسميه ومسيكه والزباير
وصور الخ . توفى بأم غصوب ، شقيقة شيخ العرب . فقصد مضافة
الشيخ الجليل ، بقلب كله تفاءل وأمل . وبعد أن ألقى السلام

والمصافحة . وقف الحارس ، في وسط المضافة وقال :

— أنا بوجهك يا شيخ العرب ، جئت اسلمك رضية ، كما
استلم ، أمرؤ القيسء اوديعة . فهل ، تمد بحياتها ، وتصونها من
غدرات الزمان ...

— مرحى شيخ الدروز ، مرحى ... نحن نقديها بحياتنا ، والله
العظيم ...

— والله يتيمة من الام ، لم نجد لها لبناء ، بين مخدرات
الدروز ...

— ابشر ، فيقيمك الحسناء ... هي أخت غصوب ...

— بورك الله فيك ، يا أمير العرب . والله العظيم ، أصافحك
على الدم والنار ...

قرار أهوانه الصفا :

في ليلة ، من ايلي شهر أب « أغسطس » سنة ١٨٢٨ أم قصر
نجران ، مقر الشيخ يوسف الحمدان ، نخبة من زعماء الدروز . ولم
يكتمل عقد الاخوان ، حتى بدأ ، الشيخ هزيمة هنيدي ، فارس
الدروز ، في ذلك العصر ، بالحديث الآتي :

— والله يا هزاع ، لو عقدت نساء الدروز ، مؤتمرات سرية
وعلمية ، وطلبين ما طلبته عصمت ، لن نمكهن ، من نيل حقوقهن
المتطرفة ؟ !!

— كفى ، يافارس بن معروف ، لقد طفح الكيل . أيليق
بالهندي ، أن يجحف بحقوق المرأة . الامر الذي ، لا يقباه الدين ،
ولا يقباه الناموس . أنت تريد ، أن تحور رسالة النساء ، التي تحتم
على كل درزي ، الاعتراف بحقوقهن الشرعية !!!

— معاذ الله ، أنا لا أريد ، أن أحرم العاقلات ، الصالحات ،
حقوقهن ، وهن لا يتجاوزن عدد الاصابع . وانما اريد أن أقول :
ان الست عصمت ، زوجة الشيخ علي ، لا تليق ، أن تكون في
صنوف العاقلات ؟ !!

— كيف ذلك ، اليست هي اخت الرجال ؟ وهل تجدين النساء
من يضاھيھا ، بالشجاعة والفروسية . انسيت موقعة المجيمر ؟ وموقعة
ام رمان ؟ ..

— الشجاعة والفروسية شيء ، والعقيدة شيء آخر . . .
فقاطعهما ، الشيخ مجاهد وقال :

— ماذا تقصد بهذا ، يا شيخ هزيمه ، اليس عصمت ، متمسكة بعقيدتها الدينية ؟

— لا اقصد هذا ، يا مجاهد . ولكن الذي جعلني ، ان ارتاب في سلوكها ... موافقتها ، على اراء بعض النساء الجاهلات ، وخاصة تقريرهن ، بالموافقة على ارسال الفتاة مرمر ، الى مدرسة الامر يكان في بيروت . والاعرب من هذا وذاك ، رغبة الجاهل والدها ؟ ؟ ؟

— مهلا ياهزيمة ، الامر ليس كما تتوهم . فالشيخ حارس والد الفتاة ، عاقل ، يعرف كيف يصون عرضه . فضلا ، عن ان الامير ارسلان ، هو الذي قدم هذا الاقتراح ، وهو الذي سيتولى رعايتها كل مدة الدراسة . ومع ذلك ، اليس الامير ارسلان ، ذا نفوذ في لبنان ؟

— حسن ! لو كان الامر ، لا يتعلق بالدروز ، لقلت : « اللى مش من ظهرك كل ماجن فرحله » ولكن الامر يهمني ، كما يهم كل درزي . اتذكر يا مجاهد ، الوصية الثانية : حفظ الاخوان ...

— اذكرها ، وانما فارس بنى معروف ، قد اهمل التوكل ، وتغاضى عن الوصيتين ، السادسة والسابعة : الرضى بفعاله ، والتسليم لامره ...

— كلا ! لم اتغافل ، ولن اجهل السنة ، سنة العشرة مواجب :

كن لهم ، في تقاسمهم ، واعراسهم ، وجنائزهم . اجيبوا دعوتهم ،
اقتضوا حاجاتهم فقطعه هزاع الهزاع وقال :

— انصروهم ولا تخذلوهم . وهي الاخيرة اليس كذلك ؟ . . .

— اسمع ياسيد بني هزاع . اليست مدارس الاجانب

معادية للعقائد الدرزية ؟

— هذا امر ، صار في خبر كان . . .

— كيف هذا ؟

— تقول كيف هذا ! والعقيدة الدرزية ، امنع من عقاب

الجو . . .

— مالنا ولهذا ، الاتخاف ، على فتاة جميلة ، تسرح وتمرح ،

في مدينة ، دب فيها ، ما يسمونه مدينة غربية . . .

— افرض ! ولكن هذا ، يتعلق برأي الاخوان . . .

— اذن ، تفضلوا الى الخلوة

وبعد ساعتين ، من اجتماعهم ، اعلن شيخ العقل ، القرار السري

وتبليغه ، الى الشيخ حارس ، شفويا . وهذا هو بحرفيته :

بما ان العقيدة الدرزية ، لاخوف عليها من المدينيات ، الغربية

الجامعة . . .

وبما ان المحافظة ، على العرض والمال ، حتى التضحية . هما
ضالة كل درزي ..

وبما ان العلم ، اصبح في هذا العصر ، كنه المخدرات .
وبما ان دم الدرزي للدرزي — اينما حل ورحل — جوهر
العقيدة ???

لذلك ، نصح الشيخ حارس ، بارسال فتاته ، الى لبنان ...
والامير ن ارسلان ، اعلم بصالح الفتاة ورعايتها ...
« اخوان الصفا »

اول الحب قطرة :

رضعت الفتاة ، الملقبة بالدرزية الحسنة ، لبان غانية ،
من اشرف غانيات العرب . وترعرعت في المضارب والخيام ، بين
زينات البدو والحضر ، ناهيك عن درسها ، معابر الجبل وخربه ،
ووعرة اللجاء ، وحصونها الطبيعية ، التي دحرت على اقدامها ،
اعظم الفاتحين ، لوحشة مسالكها . ولم تتلق من صحراء ، جبل
الدروز المحرقة ، الا ركوب الخيل والفروسية . صحبة غصوب ،
اخيا في الرضاع ، الذي كان يكبرها بعامين . وهي لم تتجاوز

الثامنة من عمرها . فضلا ، عن بعض العادات والعقائد ، التي
تلقتها ، من صديقة امها ، عصمت . واما الحلم والشهامة و اباة
النفس ، فقد شربت كنهها مع اللبن ، من ام غصوب ، امها في الرضاع .
نمت اغصانها ، وتكونت محاسنها ، وبرزت نهودها ، وزادت
. عارفها ، وتوسعت مداركها ، فكبرت نفسها . حتى اصبحت
في المدرسة والمنزل ، فاتنة المتمدنين ، برشاقها وخفة روحها ...
كما كانت في الصحراء ، بهجة الفرسان والقرويين ، ببسالها وذكائها
القطري . ولم تخلو ، من زميلات لها طالبات ، اللواتي اصبحن
يتطلعن الى نمو طلعتها ، يوما فيوما . والحسد يدب في عروقهن ،
فيملا قلوبهن شراً ...

.....
وفي ذات يوم ، من ايام ، فصل الربيع الجميل ، وقد تربعت
الشمس في افقها . خرجت الحسناء من المدرسة ، واعتلت ظهر
جوادها ، وعرجت به ، نحو منارة بيروت ، قصد النزهة قليلا ، او
. للاقاة احد اصدقائها الشبان . ثم العودة الى سراي الامير نارسلان
عادة اتبعها ، بعد ظهر كل سبت ، وفي صباح كل احد ، عند
فراغها من المدرسة . ولم يستقيم طريقها ، حتى همزت جوادها

الحديدي ، فصار ، يعدو بها في طريق المنارة ، كالغزال الشارد
يفر من مطارديه . هذا والشمس ترسل وهيجها الاوار ، على وجهها
السافر ، فتصبغه ارجوانيا . وتزيده جمالا على جمال ، حلتهما البيضاء
وشعرها الذهبي ، الطويل الوهاج ، المسترسل على ظهرها ، والرياح
تتلاعب به ، وهي راحة . مما يجعلها حورية ، من حوريات الجنة ،
يسرحن ويمرحن ، في ميدان الحرية والسعادة ...

ولم يصل بها الجواد ، الملقب بمرجان ، الى الطريق المؤدى ، الى
الشاطئ . حتى وقعت على قدمه ، واخذت تجول ، بانظارها النورانية ،
كأن البحر المتوسط ، وشواطئه الرملية ، طوع سلطانها . باحثة
عن شيء يشغل بالها ، او ظل تأوي اليه ، لتشفى حر الالهيب ،
المتأجج في صدرها كالبركان ، قبيل انفجاره . ولم يطيل بها المكوث ،
حتى لمحت ، او ظنت ، انها لمحت ، شخصاً يشير اليها بمنديل .
فأشارت الى الجواد ، بمهازمعلق بسرج ، مصاغ بالذهب ، الخالص
فزل بها الهوينا ، كأنه عرف المقر ، الذي تقصده ...

وهناك ؟ في وسط البحر ، قلب يتصل بلسان الى اليابسة .
وهي بقعه رملية ، سياجها الصخور والتلال ...
وهناك ؟ عند تكسر الامواج ، الفضية البيضاء ... وقف

كيوييد باسماء ، يرشق سهامه ، في سويداء القلوب ، ليجعلها
أسيرة الحب ؟ دامية ...

والى هناك ، قصدت الحسناء ؟!!!

وهناك ؟ ينتظرها شاب ، جميل الطلعة ، بهي المنظر ، خلاب
المحاسن ، لا يتجاوز العشرين ربيعاً من عمره ، يلوح على وجهه ابتسامة
لطيفة ، يعلوها مخايل الشجاعة والجلال ، مرتد بقفطان من الحرير
الشامي ، يكسوه جبة بنفسجية ، من الجوخ الرفيع ، وحزام من
الحرير اللبناني ، معقود على صدره ، كوردة الربيع ، وملتف بشال
من الكشمير العجمي ، وعلى رأسه ، الطربوش الابراهيمى المصرى —
رمزاً لوطنه : وادي النيل المقدس

وهناك تقابلا ! وجها لوجه ؟ لا سلام ولا كلام . اشتبكت
الايدي بالمصافحة ، ولم يجسر أحدهما أن يفتح الآخر ...
صمتا طويلا ... ولكن القلوب لم تصمت . بل كانت : مناجاة
وكانت : عبارات ، وكانت : نبضات — تطرب القلب ، كأنها آلات
موسيقية ، يوقع على أوتارها ، نشيد الحب والهيام . عشرة دقائق
فمشرين . والمشابكة ، هي المعبر الوحيد ، عن ارتباطهما ، روحياً .
وضع الشاب يده اليسرى ، على كتفها . وقادها الى مقعد ، في وسط

الصخور ، لتقيهما الرقيب البشري ... والجواد الحديدي ، لم
يزل لجامه ، بيد الفتاة اليسرى ...

جلسا بصمت ، ونظراتهما ، تخرق سويداء قلوبهما . ملكت
الفتاة ، لب الفتى . بجاذبية عينيها ، التي مست حواسه الخمس . فأصبح
كالعصفور ، المذبوح قليلا . لا يعلم ، ماذا يصنع بالكهرباء ،
الذي دب في عروقه ، ليتقيه . ومثاه : كمثل السابح في الاوقيانوس
العظيم ؟ لا يدري ، أي الشواطئ ، أقرب اليه ...
وفي هذا الاجتماع ، بدأت الصداقة ، تتحول عن طريقها ،
الى ناحية اخرى ، من الحب والهيام ...

ظهرت بوادر من الشاب ، جعلت الشابة ، في مأزق حرج ،
فخافت العاقبة . فكرت طويلا ، وتأملت بعقل ، الى أن ملكت
عواطفها . وبعد أن ملكت عواطفها ، اخضعت بارادتها ... الى الحب ،
وجعلته ، ملك سلطانها ، تسيره كما تشاء ... وبهذه الارادة
القولاذية ، حلت عقدة لسانها ، وخاطبت حبيبها ، ببسالة ، مقرونة
بصراحة ، لم يتعودها الشاب منها ، من قبل :

— أول الحب قطرة ياعزيز ...

— نعم ، ثم ينهر يامرمر ...

تُخاطبا في هذه المرة ، دون كلفة ، كأنهما ، قطعا مراحل
واسعة ، في صحراء الحب ٠٠٠ ثم قالت :

— كيف هذا يا عزيز ؟ وقد مر عام ، وهذا العام . وقلوبنا

لم تزل ، حافظة على العهد ، عهد ٠٠

— عهد الحب الشريف يا مرمر ٠٠٠

— هذا لاشك فيه ، وكلانا يدرك ٠٠٠

— يدرك المسؤولية العظمى ، أليس كذلك ؟

— ولكن ؟ ٠٠٠

— ولكن لا . أنا أدرك ، مايجول في صدرك ، يا مرمر ٠٠٠

وهذا الدرس ، قد أخذته عنك !

— لا . لم تعرف بعد ، مايجول في صدري يا عزيز ٠٠٠

— لا بأس ؟ القى علي درسا آخر ؟ يا زهرة قلبي ٠٠٠

— جئت لأودعك ؟!!!

اضطرب الفتي من كلمتها ، التي أجدت الدم في عروقه : وشعر

كحربة ، اخترقت صدره ؟ بيد لا ترحم ٠٠٠ وبعد صمت قليل

تمكن من توجيه كلمته ، الى مالكة لبه :

— مرمر . ماذا تعنين بوداعك هذا ؟ ألا تعلمين ، أن لفظه

الوداع ، في قاموس المحبين ، قساوة ، ولوعة ، فوحدة ٠٠٠ لا بل
سحق ٠٠٠ فوت ٠٠٠

— خفف عنك يا عزيز ٠٠٠ وكن بطلا ٠٠٠ فالامر هو أشد

مما تتصور ٠٠٠
— أشد مما اتصور ٠٠٠ أشد مما أتصور ٠٠٠ كيف. كيف ٠٠٠

— مهلا... سأضرب لك مثلا ، وأنت تضرب لي مثلا آخر .

فمن كان مثله أعلى ، كان له ، السلطان المطلق ، على الآخر ٠٠٠
— أنا جاهل ٠٠ أنا أعمى ٠٠ أنا أعمى ٠٠ لا أعرف أمثال

ولا أعرف وداع ٠٠٠ علمي ٠٠٠ أمثالي ٠٠٠ حياتي ٠٠٠ هو
أنت ٠٠٠ أسمعت ؟ هو أنت ٠٠٠

— عزيز ، هدى روعك قليلا ، واسمع ما أقصه عليك ا

— قولي ما تشائين الا الوداع ٠٠٠ سفك دمي ٠٠٠ ولا

الوداع ٠٠٠

— عزيز ، عام أدبر ، و عام أقبل . وأحدنا ، لا يعرف عن الآخر

الا اسمه الاول ، أليس كذلك ؟

— هذه ارادتك ٠٠٠

— اسمع يا عزيز ٠٠٠ بالامس كان فعل ماض . وأما اليوم

فسوف يكون . وهو للمستقبل البعيد ، وحول هذا المستقبل ،
المظلم . سيكون بحثنا ...

— الماضي والحاضر والمستقبل ، هو قربك والسلام ...

— هذا ما يتمناه قلبي ، ولولا هذا القلب ، لما تعاهدنا على هذا

اللقاء . فالعاطفة شيء ، والعقل شيء آخر . فبالأمس كانت العاطفة

رائدنا . وأما اليوم ، فأريد ، أن يكون العقل دليلنا . حتى ، لا تجري

الرياح بنا ، كما تشتهي وتريد . وفي غير هذا العقل ، لا نصل بالسفينة

الى ميناء الخلاص ...

— مرمر ...

— اسمع المثل :

« تصور فتى وفتاة ، مسحهما الله ، بمسحة آلهية . وجعلهما

روحاً واحداً ، وقلباً واحداً . حتى أصبحا ، يعزفان ، على أوتار الهيام

وينشدان نشيد الغرام ، في فضاء الحرية ، تحت سلطان الحب ...

ويدنا الفكر ، يطوف بروحيهما ، الى أسنى طبقات الشهامة ...

انزلهما القضاء والقدر ، في أرض خصبة ... ليبدرا فيها ، بذور

النمو والارتقاء ... بعد أن يلبسا جسداً ... وينغديانه ، بشمرات

النوى . ويرويانه ، بقطرات الندى . وبذاك الغذاء ، وبهذا

الشراب ، يتمتع الانسان الكامل - ولا يكمل الرجل ، الا بالمرأة -
بلذة البنين والاحفاد ...

وبينما كان ، كل منهما ، يستعد ، لاقتباس الكمال الانساني...
وقبل أن يهجم ، أحدهما على الآخر ، ليتصلا اتصالهما اللانهائي...
انشقت الارض بينهما ، على طول الخط ، بعمق لا قرار له . وهنا
أوقفهما العقل ، خوفا عليهما من السقوط . وأي سقوط ، سقوط
الروح والجسد معاً . فالاولى بهما ، ان يعودا الى سماء الحرية تحت
سلطان القضاء... ويتركها الارضي ، يرعى كالحيوان ، كل
بمحيطه عسى أن الطبيعة تولد عاصفة بركانية ، تقذف بنيرانها
الاصلاحية ، تلال التقاليد والعادات ، فتزدهم بنورها ، ما أفسدته ،
يد الاستثمار الديني ، والاستعمار الدنيوي ... والله على كل شيء
قدير»

سمع الشاب ، حكمة الحسناء ، وآياتها البعيدة المرمى ...
فأطرق برأسه الى الأرض وقال :

— من أي ملة أنت ؟

— أنا ملتي الانسانية ... وأما عشيرتي ، فهي عشيرة

ربي معروف !!!

— نعم الاسم ، ولكن أجهل العقيدة ...

— الطائفة الدرزية الشريفة ... وكفى !!؟

— لقد عرفتُها، نعم لقد عرفتُها، بريبة الحكمة، بريبة الجمال الطبيعي. لا بل، بريبة الخلق والخلق. فانا، من الآن فصاعداً، اعتبر نفسي مع الفخر: انساني المبدأ، درزي العشيرة ...

— هذا ما كنت أخشاه يا عزيز ... فالباب موحد بوجه كل طالب؟!.

— كيف ذلك؟

— الدرزي بعقيدتنا: من ولد، من أب درزي، وأم درزية. ولا أزيد على هذا ???

— آه ما العمل ... يا أرحم الراحمين !!!

— ان رمت ادراك المعالي كلها ...

— أسعى، الى رضى الحسناء ...

لا . لا اقصد ذلك ! بل اقصد السمو، اقصد ان تعمل للاصلاح

والخير العام، ما استطعت اليه سبيلاً ...

— سأ كرس حياتي، لاصلاح هذا المجتمع، كما انتي، سأكون

ثائراً متمرداً، على الجسد الحيواني ... لارضائك ...

نعم المسعى... والآ ن قل مثلك ، فألشمس قاربت الغروب ...
ماذا اقول : بعد هذا ياغوث ، المقلتين ...
اذن ...

بحقك، تمهلي قليلا، والمصطفى، اكاد ان أفقد حواسي الخمس ...
ارجع الى عقلك ، تملك ارادتك ... بحقك قل مثلك والا ...
- اتذهبين ، وانا قاعد الرشد ...

- لا اريد ان اسمع... لا اريد... اسمعت ... جسدي لاعبرة
له ... سأدفنه ... ربي ... عزيز... قل؟ والا تفككت مفاصلي...
- العقل ، اين هو العقل ؟ اه .. سأقول ... اصغي ... بحقك
اصغي ، لانشودتي، التي اوقعها، انغاماً موسيقية، في كل فجر، وقبيل
الظهر ، والعصر ، وفي كل مساء ، وعشية . ثم سجد امامها ، وطوق
فخذها ، ووضع خده ، تحت تديها ، ورفع عينيه ، دامعاً، الى فوق
صدرها ، ليستمد من نور عينيها ، كهربائية ، تحرك فمه ، وقلبه ،
وحواسه . ليتمكن بها ، من نشيد آلهة الحب عشروت (١)
وعلى هذا النحو انشد :

مرمر ... عشروت آلهتي .. الهة الجمال تدعى ...

(١) عن كتاب (الفكر الثمر د) للمؤلف الذي سيصدر قريباً

انا احببتك منذ البدء ... وعشقتك الآن وطوبتك ...
وستكونين الى الابد ... موضوع صلاتي اليومية ... التي
اوقعها ، انغاماً موسيقية ، على اوتار الحب ...
عشروت ... عشروت

قبل ان تدخل قلبي ، كنت لا اعلم ، لوجودى وجودا ...
سراً مكتوماً ، كنت في صفحات الخلود ، وكلمة مبهمة في
سجل ، الوجود ...

فلما ، دخلت الغاب ، غاب قلبي معك ... ورأيتك ...
ورأيتك في الرؤيا ، تحت اكناف ، شجر الصنوبر ، فعشقتك ...
ونظرت ... ونظرت اليك ، نظرة حب صادقة ، فقابلتني بالمثل ...
وهبطت ... وهبطت بي ، الى مدينة الحياة باسمه ساكتة ...
فتبعتم ... فتبعتم خطواتك ، وسرت في حماك ، الجميل الامين ...
.....

ومن ذاك ، صار حبك ، يهدينى الى الطريق ...
وامال عواطفك ، تسقينى الرحيق ...
وجمال روحك ، ينسينى الدموع ...
وسكينة ربوعك ، تملي على الخشوع ...

ورياض نورك ، يوحى الى الكمال ...
ونسيم سحرك ، يريني الجمال
وغاباتك المخيفة ، تزيدني الولوع ...
وعظيم جبروتك ، يصعدني الجبال ...
ومراتك الطبيعية ، تذكرني شباني

و لم ينته عزيز من نشيده الهيامي ، حتى كانت الحسنة في
غيوبة العاطفة . تنهد من آونة الى اخرى وهي تلتقط القطرات
الباردة ، النافرة ، من جبين عزيزها ، باناملها ... وطوراً تلاعب
شعره الكستنائي ، المسترسل بين اناملها ، الى ان حركتها ، عوامل
نفسها الطموحة ، الى الحب . فانشدت ، نشيد اله الحب ...
ادونيس :

عزيز

ادونيس ... ادونيس ...

الا تعلم ؟ ...

الا تشعر بالتضحية ؟ ...

الا تعلم ، قوة تصوري فيك ؟ ...

الا تعلم ؟ ...

الا تعلم ؟ ان الحب ، في جبهتك ، هبة ...

وفي عينيك ، نعمة ...

وفي شفطيك ، عمرة ...

وفي قلبك ، سعادة ...

الا تعلم ؟ ...

الا تعلم ، ان الجميع يقتربون منك ، وانت لا تقترب ، لغير

المخلص الشريف ...

الا تعلم ، ان الكل ، يتزلف اليك بالحب ، وانت لا تحب ، غير

غيبوبة التيه ، في الصحراء ...

تعال وانظر ، كيف ان الجميع ، يسجدون لجمالي ، والوهيتي

ويعتبرون حكمتي ، ويقدمون شخصي ، فهم ...

فهم ، يسجدون لك ، ويقدمونك ، ويحترمونك ، لأن ذاتيتي

مندمجة في ذاتيتك ...

اردت ان احب ، ففتشت على نفسي ، فرأيتها ... متجسمة بك

فاحببتك يا ادونيس ، وها ...

— وها انا ، ساجد امامك ، يامعبودني ، ويا الهة حيي ...

تكهربت مرمر، من هذا النشيد، وقبل ان تستسلم لسلطان العاطفة،
رفعت حبيها العزيز، بقوة، لاتعلم كنهها، وقبلته قبلة حارة . . .
ثم نقرت منه، نقر الشاة من الذئب، واعتلت جوادها مرجان، دون
ان تضع، رجلها في الركاب. ولم يستقر جسمها عليه حتى رفعت
انظارها، نحو السماء وقالت :

اللهم ! يا ايها العزيز المعز، والقهار المذل، احفظ عزيز، وبرد
بركان جوفه المكهرب، برفعه عن ارض الشقاء . . .
ثم حولت وجهها نحو عزيز ولحظته يريق عينها وقالت كلمتها
الاخيرة : المثل . . . الوداع . . .

وفي لحظة سار بها الحديدي كالبرق الخاطف، الى ان غاب
بها عن نظر عزيز . . . وعزير كالمأخوذ، اخذ عنه ما وهب اليه
من عقل وحكمة وطول اناة، وهو لا يدري ماذا يفعل ! فسقط على
الارض حزينا كئيباً . . .

في مدينة السراي :

في احد ، احياء بيروت (الدحديلي) نزل الامير ن ارسلان
في سراي من سرايات آل سرسق ، الفسيحة التاريخية تحوط بها
حديقة غناء ، نظمت هندستها على احدث طرز غرس فيها من كل
فاكهة وزوجان . يزيد لها جمالا على جمال وردها العطر وياسمينها المنعش ،
وفلها . العبق واقمار الكماليا ، كالنجوم تسطع بين الجمائل الخضراء ...
وفي وسط هذا الربيع ، فسقية من المرمر الابيض الايطالي
يرتفع الماء منها ارتفاعا ، يعلو سطح السراي . ثم يتساقط في وسطها
كدائرة من قطرات الندى ، يسمع لها خرير كخرير شلال على
بعد كيلومتر . وقد صف حولها مقاعد من حجر (الشحم واللحم)
انفردت فيه ، معادن « بيت مري (١) » دون سواها ...

وبينما كان ملاك الحديقة يسبح : المجد لله في العلى وعلى الارض :
الماء والخضراء . أقبلت الحسناء ، بفستانها الفستقي ، الطويل ،
تهادى بمشيتها ، كأنها آلهة الجمال على الارض . ولم يشاهدها

(١) بيت مري هي مصيف من مصايف لبنان الجميلة

الملاك حتى علم أن هبوطها ساعة التسبيح ، كان لحكمة التثليث -
ماء وخضراء وحساء ...

عقب وجه الملاك ، وتحركت أوداجه وقال :
... لاشك ان لطبيعة الاقانيم سلطاناً ...

اذ ذاك نزل من عليائه ، وهو يوقع أنشودة الحب على أوتار
القلوب

طربت الحسناء من هذا النشيد الخيالي ، وأخذت مقعدها الذي
ينطق بعظمة كنوز لبنان المرصودة لتستوعب كلمات الحب ، عن
كثب ...

سمعت الفتاة مرمر أنشودة الحب ، وهي خالية الذهن صافية ...
ونظرت الى منشدها بنظرات جذابة نزيهة ذات معنى ؟ ؟ ! !

اللام واملال :

انتهت الانشودة ، فغاب الملاك عن نظرها ثم عاد بشكل نوراني
أبهر عينيها ، فامس حبة قلبها ... فغابت ... ثم تطلعت ... فاذهو
حبيبها عزيز . وكأنه يقول لها ، او كأنها تسمعه يقول : الى متى هذا
الوداع ؟ فانتفضت ، وأخذت تناجي نفسها :

اهبت دروسي وأنا على أهبة السفر الى الجبل ... وداع ...
نعم ودعته الوداع الاخير ... مر على هذا الوداع أربعة أشهر
وهو لا يعلم عني شيئاً ... وأنا أعرف عنه كل شيء ... امينة
الوصيفة ... امينة هي رسولة المحبين حقاً ... هي تستطلع اخباره
وهو يجهل اخباري ... حتى انه لا يعرف من أنا ... وأين أنا ...
عزيز .. تألم .. ابكي .. احزن حتى الموت .. ولكن
شتان بين المي والملك ... حزني وحزنك ... فالنار لا تحرق الاموضعها
انت تحذرت ، بقوة العاطفه والعاطفة الطموحة ، قد سلبت منك
الارادة حتى اصبحت لاتهتم لنفسك ، ولا لنفس من تحب ...
وحتى اصبح التشاؤم رائدك ... والمتشائم يقول : علي وعلى اعدائي
يا الله ...

واما انا ياعزيز فقد امانت العاطفة نفسي فلم اعد اتألم على نفسي
لاني استسلمت لسلطان العقل والعقل يتألم ؟ ويتألم كثيراً . يبكي
ويبكي دماً . وانما يبكي ويتألم ، على آلام الانسانية ، لماذا ؟ لانه
يزن العاطفة ويعطيها حقها من الحياة ...

فانا ياعزيز، اتألم واحزن. ليس على نفسي بل على بنات جنسي
اللواتي، داسهن الدهر باقدامه وجعلهن اسيرات العادات والتقاليد.

لا يجوز لهم، ان يرفعن اصواتهن بمظلمة، ولا ان يجرن، على التصريح
بمطالبة، وان لا يتذمرن، مما آل اليه مصيرهن، من رق واستعباد
كأنهن سلعة، تباع وتشري، في سوق الرجال، لماذا؟ لأنهن
غير متعلمات، ويا للأسف ???

فالاولى بفتاة مثلي، قبل ان تستسلم للعاطفة الوثابة، العاطفة التي
لا ترحم، يجب ان تهذب زميلاتنا الفتيات، لتجعلن انموذج المرأة
الشرقية، وبعد ذلك تستحق الحياة نعم تستحق الحياة يا عزيز
ولكن بعد ان تتأصل، من ضلوعهن، جذور التقاليد، وتزرع
من مخيلتهن، شياطين الاوهام، وينلن على يديها، سعادة الطمأنينة
والحرية وعلى هذا المبدأ، ستسمع يا عزيز، كيف أقتل الداء، داء
البؤس من النفوس الحزينة، وكيف أحارب الشقاء، سأحاربه
يا عزيز.. وسأحاربه، بكل ما أوتيت من قوة. والفتاة التي تسعى
تتألم، وتتألم كثيراً... فاذا كنت شجاعاً.. فاصبر... فالصبر
مفتاح الفرج...

تعال يا عزيز، تعال نصلح هذا المجتمع، كل منا يشتغل في
محيطة، أخلق فيك اصلاح الرجل... وأنا أخلق في اصلاح
المرأة... وبهذا وحده، يمكننا ان نلتقي

تألم ... على أن تتألم آلامي ... كن بطلا ، لا لنفسك ، بل
للعالم أجمع . واسمى بعدئذ ، للحصول على المرأة ، بشرط أن
تصونها بحبك ، كما يجب أن تطوقك بحبها ...
جدد شريعة المحبة الشاملة ... وأصلح بالعلم ، ما أفسدته يد
الجهل ، وسر في طريق الكمال الاكمل ، وبعد ذلك أصافحك ،
مصافحة الحب ، مصافحة الانسان للانسان — لا فرق بين جنس
قوم ، ودين آخرين ...

الحسناء والامير :

وفي هذه اللحظة ، وصل الامير فارس ، نجل الامير ن أرسلان
الى قرب الانسة مرمر ، فوجد حسناء ليه ، ناعمة على زندها .
والامير الشاب ، لا يتجاوز العشرين عاما ، مرتد عباءة وكوفية
من الحرير الابيض ، وعقال مقصب بالذهب — فوقف يتأمل
جمالها ، والابتسامة تعلو وجهه ، اللطيف الخمرى ، ثم جلس بقربها
وأحلامه بها عظيمة . وبعد أن وضع يمينه على كتفها ، استيقظت
مذعورة ، والتفتت اليه برودة ، وقالت :

- أسعد الله أيام الأمير .
- أسعدني الله بقلبك ، ياعزيزتي ...
- قلب الاخت لأخيها ...
- لا ، بل قلب الحبيبة لحبيبها ...
- صدقت ، ولكن الأخ أولى بالمعروف ...
- أحدث مغالطة ، أم ماذا ؟
- اصفح عني يا أخي ...
- ووقفت متألمة .. ثم أرادت الانصراف ... فاستوقفها الأمير وقال :

- هل بودك الرحيل الى الجبل ؟
- نعم يا أمير ...
- أبيروت ، غير محبوبة منك ؟
- كيف لا أحبها يا أمير .. ثم توقفت .. ثم قالت : وقد ضمتني تحت سمائها ، سنوات طوال ، كنت فيها .. حرة طليقة ...
- لا أقصد هذا ، بل أقصد ، ما هو أبعد من هذا ...
- ولا شك ، أن والدي الحارس ، سيقوم بالواجب ، نحو من أحسن فضلا ...

- التمس ، تغير هذا الموضوع ...
- شأنك وما تريد ... السلام عليكم ..
- مرمر .. ماهذا الجفاء ..
- أعوذ بالله ، هل تعتبر حررتي جفاء ..
- استغفر الله ، انما أرغب لغة جديدة ...
- أريد لغة أفصح ، من لغة القرآن الكريم ؟
- مرمر .. بحقك خففي آلامي ... لقد ضاق صدري ...
- أغضبتك ولا شك ؟
- كلا .. وانما ..
- لقد أطلت الكلام .. أليس كذلك ؟
- معاذ الله ..
- لا بأس .. السلام عليكم ..
- ثم سارت ، وهي تنقل كالغزال ، نحو غرفتها .. نحو وحدتها ..
- والامير ينظر اليها ، ولا يجسر على معارضتها ، مرة أخرى ... ولم
- تبتعد عنه ، حتى ارتمى على المقعد ، ، شارد الفكر والحواس ...
- واسان حاله يقول : لا بأس ، انتظرت طويلا ، فسأنتظر قليلا .
- وها أنا سأتبعك الى الجبل ...

راية الحسناء :

في غرفة عزيز ، رفعت راية الحسناء المثلثة ، رمزاً الى شعرها
الذهبي ، وثوبها الأبيض ، وجوادها الحديدي . وعلى مكتبه
الصغير ، وفي آنية فضية ، وضعت زهرتان : زهرة حمراء —
علامة الحب . وزهرة بيضاء — علامة الطهارة . وفي كل يوم يتلو
أنشودة الحب ، مثنى وثلاث ورباع ، وقبل أن يطرح نفسه ، في
فراش وحدته ، يختم الخامسة :

ما أشرف قلبك ، يا مرمر ...

ما أطيب تفسك ، يا حسائي ...

ما ألد ذكرياتك ، يا حبيبتى ...

انبثق نور الصباح ، فأنهت الانشودة الاولى ، ونفس عزيز ،

تعلو ، وتعلو نحو غيبوبة التيه في الصحراء ...

أشرقت الشمس ، فجلس عزيز على مكتبه الصغير ، وقبل أن

يمسك القلم ، ليدون مذكراته الليلية ، دخلت خادمتها الصغيرة ،

تبعته ، بوجود سيدة على الباب ... انتفضت أسارير وجهه فرحاً

تصور أن القادم هو الحبيب ... ولم يقف ليستقبل الحبيبة ...

حتى استلقى مذعوراً على كرسية ... لماذا؟ لأنه شاهد سيدة غربية ، تتقدم نحوه ، بقدم ثابت ، دون خوف ، كأنها تعودت الدخول عليه من قبل ، الى أن وقعت أمامه وجهاً لوجه ... اذ ذاك ناولته رسالته ، كانت في يدها ، وهي تنظر اليه ، نظرة مستطلع يريد أن يسرق مكنونات قلبه . فأخذها عزيز ، بيد مرتجفة ، وفضها وقرأها ، وهذه صورتها :

عزيزي عزيز

وداع ... لا حد له ... وبعد أن تقض رسالتي ، أكون في طريق السويداء . انتظر المثل ، صحبة الوصيعة ، وهي أمينة ، وأمينة على السر ... اخلق فيك اصلاح الرجل ... وأنا أخلق في اصلاح المرأة ... فان تم الاصلاح ، اجتمعنا ...

المخلصة : مرمر

وبعد أن قرأ الرسالة بتأمل ، سأل الوصيعة عن سيدتها ، أسئلة عديدة ، فلم يستفد من جواباتها ، الا أنها تذكره دائماً ، وانها ذهبت الى الصحراء . وانها كريمة الشيخ حارس الحمدان ، الزعيم الدرزي المشهور ... فانتفض كالعصفور بلله المطر ، وأخيراً أخذ قلماً وقرطاساً وكتب :

عزيزتي مرمر

اللقاء غايته ، والسويداء ضالتي ، والحياة أمنيته فانتظريني ...

المخلص : عزيز

ثم انتزع ، زهرتي الحب والعفاف ، من الآنية ، ووضعها
في الرسالة وطواها ، وظرفها ، وسامها للامينة ، بعد أن قال لها :
- انشاء الله ، ستكون لي ، رغم أنف الطبيعة ...

فاخذت الرسالة ، وهي تقول في سرها : قران ، قر الحب ،
وقر الجمال ، ولكن ، جمعها تحت سقف واحد ، معجزة ، من
معجزات ، القرن التاسع عشر ...

وأما عزيز ، فقد اخذته سنة من النوم قليلا ، ثم هب من
رقاده ، كالاسد المستعد للهجوم ، وكتب الى والده ، سري باشا
المصري ، الكتاب الآتي :

سيدي الحنون محمد سري باشا

بعد قبلة يمينك المقدسة ، الشمس رضاك ، صحبة رسول أمين
يحمل مبلغ الف جنيه ذهب ، والخيبة ٠٠٠ موت وحيدك
والسلام

ولذلك المطيع : عزيز

مقابلة غير منتظرة :

بعد أن أنشد عزيز ، أنشودة العصر ، التف بعباءة بيضاء وكوفية حمراء ، وعتال اسود ، وتحزم بسيف مرصع ، وخنجر مذهب ، واعتلى جواده الازرق ، قاصداً الشيخ حسن درويش ، الملقب بشيخ شباب الدروز ، بمزرعة العرب (المصيطبة) زيارة اعتادها يومياً ، باسم الشيخ الهدهد ، من دروز فلسطين ، وانه جاء بيروت ، ليتمرن على ركوب الخيل ، ولعب السيف ... بالنظر لشهرتها ، وخاصة لعب الجريد والحكم ...

ثلاثة أشهر ، تمكن فيها عزيز ، من مصادقة الشيخ حسن ، الذي عرفه ، بمعظم شيوخ وشباب ، بيروت وضواحيها ، ومنهم الامير فارس ن أرسلان الذي ارتاب في لهجته المصرية . وعزيز لا يعلم من حب الامير شيئاً ...

صداقة ، جعلت عزيز ، يدرس أخلاق القوم ، وعاداتهم ، ويستطلع أسرارهم ، ما أمكن ، حتى أصبح في نظرهم ، درزي ابن درزي .

وفي ذات يوم ، بينما كان عائداً الى منزله ، شارد الفكر ،

والجواد يسير به متمهلاً ، سمع صوت سيده ، تناديه باسمه : عزيز ؟
فأراد الفرار من هذا اللقاء ، فلم تمهله ، بل وقفت في طريقه ،
وهي تقول له : كلمة ... أو خذني بجوادك ...

— قلت لك في جوابي الأخير ، لا تقفي في طريقي ...

— أنا لا أقف في طريقك ، بل في طريق ...

— الويل لك من مجرمة ، الويل لمن تمسها بسوء ...

— اقترب مني يا عزيز ، وانزل عن جوادك قليلاً ، لأنني

أحبك ...

— سعاد ... يالك من ماكرة ...

— أماكرة في الحب يا عزيز ...

— وأي ماكرة ، أنسيت نصف الليل ؟

— والله يا عزيز ، هو ابن خالتي ... ألم تزل حاقداً علي ...

— ابن الخالة ، لا يلد له ، الا سرير من عاج ، والليل راخ

ستاره ...

— عزيز أنت تهين كبريائي ...

— وماله ، أغربي من أمامي ، ياملعونة ...

— أقسم بالعزيز ، اني منقذة وعيدي ...

— وأنا بجد هذا الحسام ، أظعن صدرك ...
— أتهددني ... اظعن صدري ... كما طعننتني في قلبي ...
سأنتقم ...

— شلت يد ، تمتد الى الاطهار ، يا فاسقة ...
— فاسقة يا عزيز ؟ ! نعم فاسقة .. والفاسق ، قطف زهرة
حياتي ... فوالله ، سأقضي ، على زهرة حياتها بالموت ...
فغضب عزيز ، وهجم عليها يريد قتلها ، ففرت من أمامه ،
وهي تتوعد ... ثم قالت : سنلتقي يا عزيز ...

هلم فبفظ :

ختم عزيز صلواته الليلية ، بانشودة الحب ، واستلقى على فراشه
وهو ممتع ، بالذم ما طاب له ، من أكلتي العدس والبول . كما تمتع
بلذة الراحة والطمأنينة ، بطرد سعاد ... ولم تأخذه سنة من النوم
حتى تخيل اموراً ، أرجعته سنوات الى الوراء .. سنوات لم يستيقظ
قلبه بعد ، الى محبوبته مرمر ... تشخصت سعاد أمام مخيلته
وتجلت له ، بشكل حورية جميلة عارية ... ستر أشعة جسمها الخلاب

قيص شفاف . يزيد ، شروقاً على شروق طلعتها الرشيقة وقوامها
الستكمة ... فتصور ... وباليته لم يتصور ... تصور أن الأرض
ومن عليها ، من جلال وجمال ، طوع سلطانها ، وانها أجل خلق
الله بين بني البشر ... كلها حركات ... كلها مشتبهات ... فتقدم ..
وكل ما تقدم خطوة الى الامام ، زادت هيئتها ، نار على نار ...
وأما وجوها ، فقد مسحته يد الانسان ، بمسحة لا يعلم كنهها ،
الارب الساحيق . . . وجسماً معطر ، بعطر يحرك شهوة النفس
الى ما تشتهي وتريد . ناهيك عن صوتها الموسيقي . انغامه : تعال
يا حبيبي ... وصداه : حاضر يا حبيبي ... اصطادته ، فاصطادها ...
ارتمت عليه ، فارتمى عليها ... قبلته فقبلها . . . عانقته فعانقها ...
دخل بستانها ، فجعلته حارساً عليه ... شهور معدودة ، والبستان
مسرحة للبستاني وصاحبه . يقطف من زهره ، ويتلذذ بثماره ،
وربببة الشوارع ، تطعمه التفاح ، وتسقيه الرحيق . وهو في
وسط الظلام ، لا يبصر الا نور وجوها ، وعرى جسها ، حتى
أصبح ، في كابوس الخلاعة ، منغمساً ، وفي زيت القطران ، الساخن
اللدغ ، يتلوع ، مما يزيد لها على لهب . وهي طريحة على الحماثل
الخضراء . لا تشبع من أغصان تستخرجها لباناً ، عظامه ، ولا من

شرابين تستعطرها شراباً ، وكل يوم بمزيد - هو يروي بستانها ،
وهي تقطف ثماره

شعرت بالخلال جسمه ، فلم يعد يرق لها ضعفه ، ادته أجازة
ليستعويض بها ترويضاً وصحة ، بعد ادمانه ، واهلاك عضلاته ...
صرفته موقتاً ، لانصراف قلبها الى غيره ، الى بستانى آخر ، يشبع
بستانها رياً ، لتزيد شهوتها نضوجاً ، الى أكل الثمر . . . وهذا
لاعتقادها ، ان البستان كلما زادت عماله ، وكثرة الأيدي فيه ،
كلما زاد نضوجاً . وقد جهلت ان كثرة الطباخين تحرق الطعام ،
أوكل شيء زاد ، بالمعنى نقص . والمعنى في بطن الشاعر :

ان القلب الذي يجب لا يبغض - وقلب الانسان
الانسان لن يقسم الى شطرين

خرج عزيز من الظلمة الى النور ، فاعادت الشمس نشاطه ،
فمشى : ومشى الى أن وصل الى الشاطئ ، شاطيء ، البحر المتوسط
صدفة . وهناك ، على رابية ، في وسط الامواج والرياح ، ظهرت
الهة الحب ، قاستضاء قلبه من نظرة وتفتحت جوارحه من
لحظة ، وانتعش فؤاده من نسمة ملكوتية . . فصاح من قلب
مجروح : نور على نور . . .

عاد الى بستانه سريعاً ، وقصد مقصورته ، وهو لا يعلم ، لماذا عاد ، الى النار بعد النور ... تقدم قليلا ، وهو منتقبض الصدر ، ونادى : سعاد ...

لم ينتظر الجواب .. بل دخل في ظلام دامس ... أظلم قلبه .. سار خطوات واسعة ، نحو غرفة معشوقته ... وجد الباب مقفلا . طرق الباب ... من ... عزيز ... حاضر يا حبيبي ... افتحي يا حبيبتى ... قال هذا ، وهو لا يدري ... ثم قال : لماذا لم تشعلي النور ... أشعلت النور ... من هذا ... ابن خالتي ... ابن خالتك ... دخوله دخول اللصوص ، في ظلام الليل ... لا ... بل لم نجد كبريت ... آ ... كبريت ... أليس هو كبريت ... وأشار الى لص الليل الواقف في زواية الغرفة ، قرب فراش معشوقته ... غضب ... شتم ... لعن الساعة ... ارتعدت فرائصه ... استيقظ من تصوراته المرعبة ... جلس في فراشه ... تألم وقال : ان ما شاهدته في الحلم ، فقد كان في اليقظة حقاً . ولكن يجب أن تبقى ، ذكريات سعاد : سعاد الخائنة ، في مخيلتي ، كحلم زائل ...

وأما مرمر ... مرمر ملاكى الحارس الامين ... يجب أن

تبقى في سويداء قلبي - مفتاحه اخلاصي ...
فدولة الخبث والمكر والرذيلة قد دالت وانتهت ، في بؤس
سعاد ...

ودولة الحب والجمال والفضيلة ، قد ظهرت طلائعها ، في نجم
الحسناء ...

أسدل الستار ، على حامي الجهنمي ... فرفع الستار ، على يقظته
الخلوة ... فجر عصر جديد ، سطع أمامه ، كما انبثق فجر ليله ...
فلم يعد يرق لدوقه السليم ... الا المثل الاعلى ... فأنشداً نشودة
الحب ...

فأرسي الليل :

في ساعة متأخرة من الليل ، بعد بضعة أشهر من حلم عزيز
الجهنمي ... دخل السويداء ، فارس ملثم الوجه ، دليبه عملاق
أسود ، مدجج بالسلاح ، كأنه قطعة من جبل ، ووجهتها ،
مضانة الشيخ حارس ابن حمدان . ولم يصل المنزل ، حتى نزل
العبد عن ظهر جواده (الليل) وتقدم نحو سيده ، بسرعة البرق ،
ومعه ركاب جواده (الازرق) فنزل السيد ببطيء ، وسار نحو

المضافة ، فاستلم خدم الشيخ حارس الجوادين . واستقبل سيدهم
الفارسين ، كل بما يليق بمقامه ...

فرش المقاعد ، بالسجاد العجمي ، وذبح لهما الذبائح ، فأكلا
هنئاً ، وشربا مريئاً . وأخذ كل منهما ، قسطه من الراحة ، دون
أن يتعارف بهما الحارس .

وفي صباح اليوم الثاني ، بينما كان الفارس ، يشرب القهوة ،
أقبل ركب الامير فارس ن ارسلان . فاستقبل الامير بما يليق به
من الاكرام والاحترام . وبعد أن استقر في صدر المضافة ، أبصر
فارس الليل جالساً بجانبه ، فاندش من وجوده ، في مضافة الحارس .
وبعد أن رمقه بنظره ، كأنه يريد أن يستطلع السر ، الذي دفعه
للمجيء الى جبل الدروز ، وقف ، ووضع يده على كتف الفارس
الذي وقف بدوره ، فوقف كل من حضر وقال :

انى أعرفكم ياسادات بني معروف ، بالفارس الملقب بالهدد .
فهو - كما أسمع عنه - من أفرس فرسان بني معروف بفلسطين ،
وسيكون من أعز أصدقائي ... فاشرأبت الاعناق ، وامتدت
الايدي ، لمصافحة الفارس ، وهم ينظرون اليه ، نظرات التعجب ،
والاعجاب ... ثم التفت اليه الامير وقال :

- هل هجرت بيروت من زمن بعيد ؟
 — وصلت هنا أمس مساء ...
 — وجهتك يا وجه العرب ؟
 — رحلة في الصحراء ...
 — مرحى ، مرحى ، بفارس الازرق ...

سُباعذ الشهر رهر:

ساعات قصيرة ، والامير والهدهد ، على غاية ، من المودة
 والاخاء وعندما ، قاربت الشمس للغروب ، أقبلت بعض العشائر
 للسلام على الامير وصاحبه ، وفي مقدمتهم الامير يحيى الحمدان ،
 أمير جبل الدروز . والشيخ خليل الحمدان ، صاحب نجران . وبعد
 أن تقدم كل منهم ، ينتخي أمام الامير - نحن رجالك يا أمير . . .
 وقف الامير فارس ، وتقدم أمام الامير يحيى وقال :
 — بالنيابة عن سعادة والدي الامير ، وبالاصالة عن نفسي ،
 جئت طالباً ، فلا تردني خائباً ، يا أمير بني معروف ...
 — خير انشاء الله يا ولدي ... ابشر بذبح واكد وهزاع -
 فدية عن أمير لبنان .

— عافها الله ، وياها يا أمير ... جئت في طلب ، كرمة
الحارس ابن حمدان .

— خادمة نعانك يا بني ... أما الزواج فزمامه بيد الحارس ...

— سعادتكم واند الجميع ...

— أكرم الله أصلك . ولكن المشورة واجبة يا بني ...

— مشورة الفتاة ، واجبة أيضاً يا أمير ... هذا مقال الشيخ

خليل الحمدان الهدهد ...

— هذا حق ، فمشورة الفتاة واجبة ...

ولم ينهي عزيز جلته ، حتى التفت الأمير فارس ، الى الهدهد

بغضب ، وقال له :

— ماشأنك يا هذا ؟

— شأني كشأنك يا هذا ؟

— والله ، لم يرد عني ، عن خرس لسانك ، في حد هذا الحسام ،

الا المذب (١)

— هذا ما أتمناه يا أمير ، فواجب الطالب أن يدافع عن فتاته

(١) المذب هو صاحب المضافة

فان كنت من حملة السيف حقاً ، كما تدعي ، فنازلني .. وان لم
تحسن حمله .. أمامك ميدان السباق ...
- أنازلك بكليهما ، والويل للمغلوب ...
- والنصر بيد الله .. والغالب له الفتاة ..
- ثكلتك أمك ، يا أخط العرب ..
- الشتيمة للحيان ، والسيف للفرسان .. فهل أنت مستعد ..
- الى الميدان ...

فوقف الشيخ خليل ، بوجهيها ، ومنعهما ، عن الخروج ، وقال :
- لا هذا ولا ذاك ، فالامر راجع ، لاختيار الفتاة ، ورضى
الوالد ... فاعتلى أحدهم مقعده وقال :

- للآن ، لم نعرف شخصية الشيخ الهدهد ، وهو بنظرنا ،
ضيف مكرم ، ليس الا : وبالوقت نفسه ، وجب على الضيف ، أن
يتأدب .. فالفتاة للامير فارس ، والويل ، لمن يقف في طريقها ..
وفي هذه البرهة ، ظهر فارس ، على عرصة الدار ، بعد أن
سمع ، مادار بينهم من الحديث ، وصاح بصوت متألم : ليس
أمامكم الا عزيز الله ...

وقبل أن ينهى كلامه ، أصابه طعنة ، من خنجر الفارس الاسود

طرحته ، خارج المضافة ...

وفي أثنائها ، صاح أحدهم ، بصوت كالرعد القاصف : فليمت

الخائن ، فليمت الفارس الغريب ...

تهيجت جماعة الامير فارس ، واستلت خناجرها ، وهجمت

على الهدهد ، والاسود ، قصد اعدامهما . فما كان من الهدهد ،

الا أن استل سيفه ، وأخذ ناحية من المضافة ، جهت الباب ،

ليستعد للدفاع . وأما الفارس الاسود ، فقد وقف في وسط الباب ،

وصوب غدارتيه نحو الدروز وقال : كل من تقدم ، لسيدي

الهدهد ، أطلقت عليه النار ، والله العظيم ...

وقبل أن يختلط الحابل بالنابل ، ويختل نظام القوم ، تقدم

الشيخ حارس ، الى وسط المضافة وقال :

- كل من مس ضيوفي ، فقد مس كرامتي ، واذا كان ولا بد ،

فها صدري فداء عن الضيف ...

فأجابه الجميع ، بصوت كله حماس : حاشا يا حارس الدروز ،

كلنا فداك ...

- الضيف ضيفي ، والامير فارس صاحب المضافة ، فواجب

المعذب ، أن يقوم بخدمة ضيفه ...

- لعيون الحارس ، نحن خدام الضيف .. ثم تقدم الامير
فارس ، الى الشيخ الهدهد ، وقال له : اذا كنت ضيف الحارس ،
فأنت ضيف الدروز ، تفضل اجلس ، فأنت على الرحب والسعة .. ،
فأرجع الشيخ الهدهد ، سيفه الى غمده ، ووضع الفارس الاسود ،
غدارتيه في وسطه ، كأنه لم يحصل بينهم ، ما يكدر ...
وارفض القوم ، بعد أن اشترك ، عاليهم ودانهم ، مع الامير
والحارس ، والهدهد ، بمناولة الطعام ، حول المنسف (١) الذي كان
آية ، من آيات كرم الدروز ...

الفارس الجريح :

وأما الفارس الجريح ، فقد نقل الى دار الحريم ، بعد أن رفعت
الخدم ، اللثام عن وجهه ، وظهر من تحته ، وجه سيدة صفراء
اللون ، ذات حاجبين مقفولين ، مع شيء من العبوسة ، دلالة
على المكر والخداع . وبعد أن أسعفها الدرزية الحسنة (مرمر)
بالاسعافات اللازمة . وضدت الجرح ، الذي أصاب جبينها ،
بمنديل من الشاش ، وشيء من البن العدني ، واستراحت قليلا .

(١) راجع تاريخي جبل الدروز . وحواران الدامية للمؤلف

فتحت عينيها ، وتطلعت حوالها ، فوجدت الحسنة ، جاثية على ركبتيها ، تلاحظ حركاتها ، وتراقب دقائق قلبها . ولما انتهت جيداً ، هبت من فراشها ، كالمسوعة ، بنار الغيرة وقالت :
- أنت تسعفيني يا قاتلة ؟ أنت تضمدين جرح جيدي ، بعد أن طعنت قلبي بخنجر ، الويل لك من شقية ! الويل لك من يدي ...
وهرولت هاربة لا تلوي على شيء ...

استغربت الحسنة صنيعها ، الدال على نكران الجميل ، وهي لا تدري شيئاً ، عنها ، ولا عن الذي ، حصل لها في المضافة ...
سوى أن السيدة ، أصيبت بضربة صلبة ، في وجهها ... فجعل لها هذا الجرح ، مع شيء من الاهتزاز الدماغي ... أفقدتها الصواب فتألمت على حالتها ، واستلقت على فراشها ، لتستريح من هذه الصدمة المفاجئة ، وهي تردد عبارات السيدة : قاتلة . شقية . طعنت قلبي بخنجر . تهديد . الويل لك من يدي ... فكانت تراجع عباراتها ، وهي لا تعرف لها معنى . فاستلقت على فراشها ، وغابت عن الوجود

عصمت في منزل الحسنة :

وبعد أن أخذت الحسنة ، بعض الراحة ، عادت الى مراقبة

ذبح الذبائح ، وتهيئة الطعام للضيوف ، وهي غافلة ، عن كل شيء ، ،
خارج دار الحرم ، لا تفصلها ، انفصلاً تاماً ، عن الضيافة - والخدم ،
لا يجراؤن على تبليغ شيء للحريم ، الا بأذن سيدهم - حكمة ، تتخذها
الدروز ، مع الحرم ...

وفي عصر يوم ، دخلت السيدة عصمت ، زوج الشيخ علي ،
على الحسناء ، وجلست بجانبها ، تستطلع مكنونات سرها ، كأنها
على علم ، من علاقتها الغرامية ... ولكنها ، تجهل كنهها ...
الى أن انتقلت ، من حديث تأسيس مدرسة الفتاة ، الى عقد مؤتمر
نسابي ، الى حالة الدروز الروحية ، والادبية . التي هي : كرشة في
مهب الريح ، الى آخر ما هنالك ، من حديث الرأفة الدرزية . وأخيراً
بالنظر لذلك السيدة عصمت ، استدرجتها ، الى أن سألتها :

- من هو عزيز يامرمر ؟
- أي عزيز هذا ؟ ... أجابت الحسناء ، وهي تحديق بعصمت ...
- ضيفكم الملقب بالهدهد ...
- لا أعلم عنه شيئاً ... أجابت وهي ترتعش ...
- مالنا ولهذا ، والامير فارس ؟
- أعرفه وهو نجل الامير ن أرسلان ، وقد مكثت في ضيافة

- والده ، بضعة سنوات ، كنت فيها ، عزيزة الجانب ...
- أعرف ذلك .. وأنا أريد أن أقول : انه ضيفكم الآن ...
- لم أتلقى للآن خبر قدومه ..
- حسن . وهل لك ، رغبة في الزواج ؟
- رغبتني ، اصلاح المرأة ، في هذه الصحراء .. كما تمهدين
بي ، من المجهود العظيم ، الذي أبدله ...
- كل هذا أعرفه فيك ... ولكن لا تمنع ..
- قد صمت ، على عدم الزواج ، اكراماً لخاطر والدي ...
- كيف ذلك ؟ ووالدك يرغب في زواجك ..
- ماتت والدي ، وأنا طفلة يومية ، ووالدي لم يتزوج ،
اكراماً لخاطري
- والامير ، أليس له حظوة في عينك ...
- أخ عزيز والسلام ...
- وعزيز ؟
- لا أفهم ... وقد لاح على وجهها ، دلائل الحب ، والحب
كالطيب ...
- لا تتوردي يا مرمر ... وسأطلعك ، على ما حدث ...

- ماذا حدث ؟ أفصحي يا عزيزتي ؟
- أنت كابنتي ليلي ...
- هذا لاشك فيه ... ولكن ...
- اسمعي .. من نحو يومين ، أم المضافة ، سيدم لقب بالهدهد
وبمعيته فارس اسود ...
- أهلا وسهلا ... فالمضافة عامة ، يؤمها كل زائر ...
- مهلا .. وفي صباح أمس ، حضر الامير فارس من بيروت ...
- أهلا وسهلا ... وبعد ...
- وبعد . أقبلت العشائر ، للسلام على الامير ، وفي مقدمتهم
الامير يحيى ...
- أهلا وسهلا ... وبعد ...
- وفي اثناء الاجتماع ، طلبك الامير الشاب ، من الامير يحيى ...
- هذه وقاحة ...
- والهدهد طلبك أيضاً ...
- غريب ...
- وأغرب منه ، ظهور فارس ملثم ، واعلن ، أن الهدهد ،
هو عزيز ...

— يا الهي ...

— وقبل أن يكشف سر عزيز ، بادره الفارس الاسود بضربة

في قبضة خنجره ...

— ويلاه ... وبعد ذلك ؟

— وبعد ذلك ، تداخل والدك في الامر ...

— بورك فيك يا والدي ... وبعد ...

— وأخذ والدك ، عزيز وفارسه الاسود ، تحت حمايته ...

— عاشت الشهامة ... والفارس الجريح ؟

— لا أعلم عنه شيئاً ...

— حسن ... والامير فارس ألم يرحل ؟

— كلا ...

— يا الهي ارحمني ...

— استحلفك يا عزيزتي ، أن تفتحي قلبك لي ، عسى أتمكن

من تخفيف آلامك ...

— آه .. ما العمل ؟ وأجهشت في البكاء ...

— كفكفي دموعك يا عزيزتي ، وأصدقيني الخير ؟

— هذا لا يكون .. لا أريد الزواج .. فليرحل الامير ..

وليرحل .. عزيز ..

— هل تعرفين عزيز من قبل ؟

— نعم ..

— وهل بادلتيه بشيء من المودة ..

— بادلته .. وسامته قلبي وفكري ...

— وبعد ..

— فقد جعلته ، سلطان حياتي .. ولكن ..

— ولكن ماذا ؟

— لا اريد الزواج به وكفى !!!

— أليس هو درزي .. ومن عشيرة معروفة ؟

— لا أعلم عنه شيئاً .. وإنما جل ما أعلمه .. انه درزي

بقلبه .. يحبني وكفى ...

— كيف يجسر ، على طلب يدك ، يا مرمر ...

— أنت لا تعرفينه .. فطلبه يدي ، وهو يعلم الخطر المحقق

به ، يزيد جلالاً على جلال .. اف من العادات ، يا عصمت ..

فما قيمة العقيدة ، والشرف ، والنبيل ، حتى الحياة ان كانت كلها ،

أغلالاً ثقيلة ، يروح تحت عبء تقاليدها ، ونظمها ، عظماء الفكر

وكبيرات النفوس ... قلب المرء ، تكبله التقاليد ، بخيوط
الاهام ، فلا تسمح له ، أن ينبض لعزير ، أو أن يحب من
يختار ... مهزلة المهازل ، أن تسطو الانظمة العتيقة البالية ، على
الانظمة الجديدة الراقية . أو على الحب الطاهر النقي ، فتجرده
من العاطفة الوثابة ، والشعور الحي ، والاحساس الشريف ...
حتى يصبح ضعيف السلطان ، لا حول ولا ... ثم خارت قواها
وسقطت على المقعد ، فاقدة الرشيد ... فحزنت عصمت ، على حزن
صديقتها ، وبعد أن طوقتها بذراعيها قالت لها :

— أنا فدالك يامرمر ، يافتاة بني معروف ... سيري في حبك

واتركيني ادبر الامر ...

آه يا عصمت ... أبصرت نور الوجود ، لا أم ترضعني لبانها
ولا صدر يحن علي ، ولا شريعة ترجمني بقلبي ... صديقتي عصمت
أريد أن يرحل ... أريد أن يغادر الجبل ... والا ، مت من
سكتة قلبية ... بلغيه ارادتي ... أسمع ، بلغيه ارادتي ...
قولي له الوداع ... آه يا عصمت : الفلاحات في حقولهن ، يتمتعن
بنسيم الحرية ، اكثر بكثير من نساء الرعماء ... لماذا هذا ؟
أليست الفلاحة ، من دمننا ؟ أليست الفلاحة ، إدروية ؟ لماذا هي

وكبيرات النفوس ... قلب المرء ، تكبله التقاليد ، بخيوط
الاهام ، فلا تسمح له ، أن ينبض لعزير ، أو أن يحب من
يختار ... مهزلة الهازل ، أن تسطو الانظمة العتيقة البالية ، على
الانظمة الجديدة الراقية . أو على الحب الطاهر النقي ، فتجرده
من العاطفة الوثابة ، والشعور الحي ، والاحساس الشريف ...
حتى يصبح ضعيف السلطان ، لا حول ولا ... ثم خارت قواها
وسقطت على المقعد ، فاقدة الرشيد ... فجزنت عصمت ، على حزن
صديقتها ، وبعد أن طوقتها بذراعيها قالت لها :
— أنا فداك يا مرمر ، يافتاة بني معروف ... سيري في حبك

واتركيني ادبر الامر ...

آه يا عصمت ... أبصرت نور الوجود ، لا أم ترضعني لبنها
ولا صدر يحن علي ، ولا شريعة ترحمني بقلبي ... صديقتي عصمت
أريد أن يرحل ... أريد أن يغادر الجبل ... والا ، مت من
سكته قلبية ... بلغيه ارادتي ... أسمع ، بلغيه ارادتي ...
قولي له الوداع ... آه يا عصمت : الفلاحات في حقولهن ، يتمتعن
بنسيم الحرية ، اكثر بكثير من نساء الزعماء ... لماذا هذا ؟
أليست الفلاحة ، من دمننا ؟ أليست الفلاحة ، إدريية ؟ لماذا هي

وليرحل .. عزيز ..

— هل تعرفين عزيز من قبل ؟

— نعم ..

— وهل بادلتيه بشيء من الودة ..

— بادلته .. وسلمته قلبي وفكري ...

— وبعد ..

— فقد جعلته ، سلطان حياتي .. ولكن ..

— ولكن ماذا ؟

— لا اريد الزواج به وكفى !!!

— أليس هو درزي .. ومن عشيرة معروفة ؟

— لا أعلم عنه شيئاً .. وإنما جل ما أعلمه .. انه درزي

بقلبه .. يحبني وكفى ...

— كيف يجسر ، على طلب يدك ، يا مرم ..

— أنت لا تعرفينه .. فطلبه يدي ، وهو يعلم الخطر المحقق

به ، يزيد جلالاً على جلال .. اف من العادات ، يا عصمت ..

فما قيمة العقيدة ، والشرف ، والنبيل ، حتى الحياة ان كانت كلها ،

أغلالاً ثقيلة ، يروح تحت عبء تقاليدها ، ونظمها ، عظماء الفكر

الغرفة . وتدل ملابسهما : أن الرجل خادم ، والسيدة مخدومة ،
وبعد أن رحب الشيخ علي بهم ، دار الحديث الآتي :

- أنت تعلم يا شيخ علي ، ان الذي دفعنا للمجيء الى هنا ، في
هذه الساعة المتأخرة من الليل ، هو اتفاقنا ، في قرية (الشيخ
مسكين) بجوران ... وهي اليلة المهودة ... بحضور ...

- كفى ... وبعد ان تهدد قليلا ، رفع رأسه وخاطب السيدة
قائلا : مالنا ولتلك اليلة ... اليلة المشؤومة ... عسى أن يكون
هذا الاجتماع ، بحضور الشيخ خليل ، فجر سعادة وحياة ...
اين رملك الآن

- الرمل لا يكشف مرتين ... وانما جئت بشيء ، أهم من الرمل ...

- الفئجان ..

كلا ...

- مندل ؟ أو تنويم مغناطيسي

- لا هذا ولا ذلك ... بل هو أشد هولاً ، من اعمال

السحرة والمنجمين ...

- لا اخشى شيئاً في الوجود ، بعد طلائع الرمل في تلك اليلة

- جئت لا اكشف كل ما يحصل لك ، يوم تنتقل روحك الى الصين ؟

- خرافة صبيانية ، ولا شك ؟!!!

- وفي اي هيئة ستتقمص ؟!!!

- عجيب ؟ ! أو هام والله العظيم ...

- لا ، بل هي حقيقة ، يسلم بصحتها ، الشيخ خليل ، أليس

كذلك يا شيخ ؟

- نعم .. قال ذلك .. ولانعلم ، هل ان الشيخ ، قد صدق

على هذا الوهم . أم ان له من وراء ذلك التدجيل ، مأرب خفي ..

سنرى ...

- وسيكون تقمصك ، في جسم أفعى ، هذا اذا لم تقتدى

نفسك ، بفتاة ذهبية الشعر ، جذابة العينين ، بيضاء البشرة ، مجوهره

اللون ... ومتى تم الفداء يهبط ملاك من السماء يكون

طوع سلطانك ...

- كيف هذا ؟ أيقبل الله ، أن يضحى الانسان ، بأخيه

الانسان ، ليكون دمه فداء للتدجيل ؟

- كلا ... لا أريد بها شراً ... لماذا تغير لون وجهك ؟

- كفى ... قلت لك في المرة الاولى ... من الصعب ، أن

تضحي في قلب درزي ، شي من الخوف ، فالغاية تبررالواسطة ...

- معاذ الله ، أن أضع الخوف في قلبك ، وأنا أريدك سالماً
شجاعاً ...

- والله يسعاد - عشرة أيام ، وأنا في حالة من الدهول ، لأعي
على شيء ، ...

- هذا الدهول يتلاشى ، عندما تسامني الفتاة ، في خربة
الحريري ...

- ماذا تكون ، نهاية الفتاة ؟

- خيراً ... هذا من جهتها ... وسعادة - لم يحلم بها النبي
سليمان في مجد سلطانه - من جهتك ...
- افصحني ...

- قلت لك ، ان الامر وما فيه ، هو خلاص الجبل ، من شؤم
طلعتها ...

- افصحني ! ؟

- وخلصك من التقمص بالافعى ...

- أريد شرحاً كافياً ...

- أقول : انتي رأيت في علم الله ... ان جيشاً من وادي النيل

سيهاجم الجبل ، ويفتك بزعمائه ، ويسبي نساءه ، كل هذا سيحل

بالجبل ، لأنه تمخض فولد فتاة ، هي شؤم عليه ، وعلى سكانه ،
فالله عز شأنه .. أراد أن يطهر الجبل ، من هذه الصدمة الشديدة
فارسل يدٍ من نور ، تختطف هذه الفتاة ، لتعيد الى الجبل سعادته
وتحفظ حياة زعمائه ... وبعد هذا ، ستحل النعمة على الامير يحيى
ويتولى الشيخ خليل الزعامة ... وهذا قضاء من الله ، فلا مرد
لقضائه . اليس كذلك يا شيخ خليل ؟..

— صدقت ... فوقف الشيخ علي مذهولا وقال :

— صواباً نطقت ياسعاد . فالجبل ، من سبعة عشر سنة ،
وهو في تأخر مستمر ، حتى أن والدة الفتاة ، قد توفت ، عقب
ولادتها ... وفي ساعة ، كانت المشائر فيها فرحة ... يالشقاء ...
ولكن ...

— ولكن ! أنا أعلم ، أن عمها الامير يحيى ، يحبها حتى
العبادة ، وهذا راجع للجاذبية ، التي استمدتها ، من شياطين
الشؤم ، لتصبح المشائر طوع أمرها ... تسيرها بإرادة الامير
يحيى ... ولم تكتمني بذلك فقط ... بل جعلها الشيطان ، شراً
وويلاً ، على العقيدة الدرزية ، ان لم ...

— ان لم تمت ... هذا ما قاله الشيخ خليل بغضب جهنمي

مصطنع ، وخرج ليشرح المجال لسعاد ...

النتيجة في باب السعداء

خرج الشيخ خليل ، فتنفست سعاد السعداء ... ثم التفتت ،
الى الشيخ تلى وقالت :
- أريد كانون حديد ، توقد فيه النجم ، على أن يكون ...
من خشب الهنديان ...
- لماذا ؟

- هذا شأني ! ؟

- لك ما تريد ... انتظريني عشرة دقائق ...

ولم ينتهي من جملته الاخرة ، حتى فتح الباب ، الموصل الى
غرفة زوجه ، فوجدها ، غارقة في سبات عميق ، فلم يرتاب بها
ظناً منه ، أنها لم تطلع تلى شراء ... ثم فتح باب آخر ... وخرج
منه ، لاشعال النار ... وفي الحال فقزت من فراشها ، وتقدمت
الى الباب ، لتكتشف ما يبخر فيها ، في غياب زوجها ، ولم تضع اذنها
على شق الباب ، حتى سمعت السيدة ، مخاطب الخادم بقولها :

— عند ما أطفىء النور ، وأبدأ بعملية التبخير ، اشتغل أنت
في عملية الأصوات المختلفة ، ليتوعم الشيخ علي ، أن الأصوات
صادرة من الصين ...

— لك ذلك . ولكن لو علم أحدهما ، أن خادمك ، هو
سيد مطاع ...

— ليس الآن ، وقت كشف الأسرار يا حسن . احترس من
شقشقة اللسان ...

— ليالكِ واللعب بالنار ... أنا لا أرغب إلا الانتقام من
الحارس ... ومن ...

— لم أعد أخافك يا حسن ... هل مجبل ، ما صنع الحداد
في الخربة ...

— كيف أجبل مكر حواء ... ولكن (شلاب) على
غيري ... ثم طوقها ، وقبلها قبلة ، ولا قبلة الذئب ...
وبينما كانت عصمت ، تراقب حركات الدجالين ، وتسمع
حديثهما ، شعرت بحركة زوجها ، فتراجعت الى فراشها . وهنا مر
الزوج ، والكانون في يده ، ولسان النار ، يندلع على جوانبه الى
أن دخل ، ووضعها في وسط الغرفة . وأراد أن يكلم سعاد . فثبته

حسن من الكلام ، احتراما للارواح ، التي تستحضرها ، لتكشف لها ، ما تريد كشفه . فخضع الشيخ علي للأمر . وقبل أن يجلس في زاويته ، أطفئ النور ، فظلمت الغرفة ، ثم استنارت بلون غريب ، من البخور ، المتصاعد من المستوقد . وسعاد تتمم وتعزم وتتلفت شمالا وجنوبا ، شرقا وغربا ، ثم سمع صوت ، كأنه صادر من كبد السماء يقول : انتقلوا الى الصين

فَعِنْدَهَا أَمْرَت سَعَاد ، بِالصَّمْتِ وَالسَّجُودِ ، لِلجَيْشِ الرُّوحَانِيِّ وَبَعْدَ لِحْظَةٍ تَحْيَلُ الشَّيْخَ عَلِي ، أَشْبَاحَ ، كَجَيْشٍ مَنْظُمٍ ، يَسِيرُ . وَفِي طَلِيعَتِهِ سَعَاد ، تَعْزِمُ بِاسْمَاءَ وَتَذَكُرُ الْفَاقِظَ ، لَمْ يَسْمَعْهَا مِنْ قَبْلِ وَفِي إِثْنَاءِ هَذَا الْمَشْهَدِ ، سَمِعَ أَصْوَاتَ مِنْ كُلِّ أَطْرَافِ الْجَيْشِ تَقُولُ : النُّورُ النُّورُ يَا بَنَاتِ حَوَاءَ الْبُخُورُ الْبُخُورُ يَا خِدْمَةَ الْهَيْكَلِ

فَعَبِقَ الْبُخُورِ ، فِي الْغُرْفَةِ ، عَلَى أَثَرِ هَذِهِ الْأَصْوَاتِ ، كَأَنَّهُ عَنَبِرُ وَزِيْزْفُونٌ إِلَى أَنْ اِمْتَدَّ ضِيَابُهُ ، فِي جَوَانِبِ الْغُرْفَةِ ، فَصِيرُهُ كَأَمْوَاجٍ مُخْتَلِفَةِ الْأَلْوَانِ تَطْلُاطِمُ ، وَفِي هَذِهِ الْحَرَكَةِ ، شَعَرَ الشَّيْخُ عَلِي ، بِدَوَارٍ خَفِيفٍ ، كَأَنَّهُ مُخْذَرٌ ، أَوْ قَفَّ النَّطْقَ بِحَلْقِهِ ، مَعَ بَقَاءِ حَاسَتِي السَّمْعِ وَالنَّظَرِ ، حَيْثُ شَهِدَ وَسَمِعَ بِهِمَا ، أَشْبَاحَ ، تَسْرَحُ

وتمرح ، وتغني بانغام شجيرة ، بلغة صينية ... ثم تحول به المشهد
 الى عاصمة الصين ... كأنه في شرفة ، يطل منها على ملايين من
 الامم ، المختلفة اللغات ... فتوهم ، أنه في يقظة ، وان كل ما يراه
 حقيقة ، لا غبار عليها ، مما جعل في حواسه الخمس ، نموأ محسوساً
 يوجب التصديق ... فاندفع الى الاوهام ، التي سمعها من سعاد
 حتى جعلها أمام مخيلته ، تحت أمر واقع . فرأى ، ويا ليته لم ير .
 رأى الفتاة الحسنة ، ساجدة أمام أتون من نار ، في داخل معبد
 الصين . وسمعها تتضرع الى الاهتبا ، أن تشعل نارها ، في جبل
 الدرروز ، حتى تحرق الاخضر والبابس ، وتتصل بسكانه ، حتى
 يعودوا طاهرين ، الى وطنهم الخالد في الصين ... التي هي جنة
 الدرروز ... ثم تتطلعت اليه بغضب ، وقالت له : قبل أن تسلمني
 سأجعلك افعى ... وهنا ... اندلع لسان النار نحوه ، وأحاط
 به احاطة الخاتم بالبئصر ... ولما شعر بنار محرقة ، تحرق جسمه ،
 استنجد بفتاة المغرب ، لاطفاء هذا الالهب ، حتى لا يتقمص بافعى ...
 وبينما الشيخ ، في ذهوله ، الخيالي ، الوهمي ، سمع صوتاً يأمره :
 سلم الدرزية تسلم ...
 ولم يسمع هذا الصوت ، حتى هجم على الحسنة ، وقبض عليها

بكلتا يديه ، من غير شفقة ، وسلمها الى فتاة الغرب سعاد ، فأخذتها منه ، وطارت بها نحو السحاب ... وفي هذه اللحظة ، تلاشت النار ، كأنها لم تكن ... وشعر كأنه في جنة النعيم ، يسرح ويمرح ، مع حوريات الجنة ، يأكل ويشرب ، ما لذ له وطاب ، من خيرات الدنيا والآخرة ...

ويدنا هو في سكرة السعادة ، سمع صوتاً عظيماً يقول : عمك هذا قد خلدك ، سعادة عظمى ... هذا ولم يشعر ، الا ويد وضعت على جبينه ، فاستيقظ مذعوراً ، من هول ما شاهده . فاذا به ، يرى نفسه ، أمام مستوقد ، تعود الرماد ، وسعاد واضعة يدها اليمنى ، على جبينه وهي جالسة على الجانب الامامي ، من المستوقد ، ونظراتها المغناطيسية ، تحديق بالشيخ ، كأنها تأمره ، بتسليم الفتاة ... فاختلفت أعصابه وقال :

— غداً عند منتصف الليل ، نجتمع في خربة الحريري ...

عصمت بين نارين

كل هذا حصل ، والست عصمت ، تراقب ما يجري في الغرفة

بكل ما أوتيت من حكمة ودهاء... ولم تنتهي المهزلة ، حتى
انقلبت السيدة ، كانبوة الفاقدة أشباهها . والحقيقة ، ان موقعها
كان خطراً ، وخطراً جداً فان كسفت القناع لزوجها ، لا تأمن
تصديقه . وان أغضبته ، لا تحمل كلمة الطلاق ، وهي ذات
أولاد... فضلاً عن العميدة الدرزية ، التي تأمر بالفراق الابدي
وليس هذا فقط ، بل لا يجوز لمطلق أن ينظر الى مطلقته حتى
عن بعد ، ولا يجوز لهما ، أن يسكنا في بلد واحد . فجلاء أحدهما
عن البلد أمر لا بد منه . مهما كثر عدد البنين والبنات . هذا
لسان من نار ، يلذع قلبها ، فيهددها بالخطر المحقق بها ، وهذا
هو العامل الاول الذي أشغلتها كثيراً . وأما العامل الآخر ،
فكان أشد خطراً عليها من الاول ، ان هي اهلكت فتاة ستقع فريسة
بين مخالب ذئاب ، لا يرحمونها . كيف لا وقد اقسمت على مناصرتها
عند محنتها . واي محنة اشد من نهش الذئاب . وهذا هو لسان آخر
من نار ، يحرق ضميرها الحي ، فيحرك شعورها ، الى الواجب
المطلوب منها . وبعد ان وزنت بين اللسانين ، وأي لسان هو أشد
ألماً عليها... تأملت... وتأملت ، الى ان ضحككت من نفسها ،
وعلى نفسها... فالتحفت فراشها ، ونامت... دون ان تشعر...

بدخول زوجها عليها ...

عواصف الليل

قبيل منتصف الليل ، وبالترب من خربة الحريري ... شخص
يتسلل بين الصخور السوداء ، حتى اذا تبينه القاري ، يجده
فارساً ملثم الوجه ، عبوساً ، وبوادر الغضب والارتباك ، بادية
عليه ، من تجعد حاجبيه ، وتقلب عينيه ، التي تقدح شرراً ...
واذا تحقق حركاته ، لوجد بيد الفارس ، شيء يلمع ، كأنه يحمل
ناراً ، أو ينتظر صيداً ...

وفي هذه البرهة ، ظهر عن بعد ، كيلو متراً ، من الخربة
شخصان آخران ، يتسللان تحت ظلام الليل . ولم يقتربا ، من الطريق
العمومي ، حتى بادرها صياد الليل برصاصتين ، رصاصة أصابت
مقتل الاول ، فألقته مخضباً بالدماء ، والاخرى أصابت فخض
الثاني فسقط على أثرها ، الى الارض مغمي عليه . ولما اطمئن
قلب المجهول ، من الاصابتين ، تقدم نحوها كالاسد الغضوب ،
ومزق ثيابهما ، وأخذ ما فيهما ، من الاوراق والحشائش ، ليعرف

شخصيتهما ، فيما بعد . . . ثم تناول غدارتيهما ، وأطلق منهما ،
طرفين في النضاء ، وتركهما في جانبيهما ، ورجع عن طريق السويداء
نحو بيت الحساء ، كأنه لم يحصل شيء ، يكدر خاطره . . .
وعند منتصف الليل ، نزلت الدرزية الحساء ، عن جوادها
وأقبلت على عين الزرعة لتروي غليها ، وتسقي جوادها وبالقرب
منها ، الشيخ علي حمدان ، ممتطياً جواده ، وواقف ينتظرها على
قارعة الطريق . وبعد أن أرتوت بكفيها ، وسقت جوادها ، من
الحوض ، تقدمت نحو الشيخ ، وقالت له :

— أحقاً انه مريض . . . وهو يدعوني اليه ؟

— أأست أمينة مني يا عزيزتي . . .

— بوارك الله في همتك يا شيخ علي . كيف لا يطعن قلبي

اليك ، وأنت ، أعز عزيز ، بعد والدي . . .

— حقاً لقد نطقت بالصواب . . .

— خسئت يانذل الرجال ، كيف تكذب ، وأنت تقودها

الى الموت ??? !!!

فاختلج صدر الشيخ علي ، وقبل أن يمتشق حسامه ، وضع

المجهول غدارته في ظهر الشيخ وقال : ارمي سلاحك في الارض ،

وارفع يديك الى فوق ، فرفع الشيخ يديه ، بعد أن حل حزامه
ورمى الارض به غاضباً . . .

نزل المجبول عن جواده . . . ووضع رجليه ، على السيف والخنجر
وأمره بالذهاب ، الى الخربة لوحيد . . . تم أشار الى الفتاة ، بالمسير
أمامه ، بعد أن تناول الخنجر والسيف ، من الارض ، وسار وراء
الحسنة على جواده ، وهو يقول : اذهبي الى منزلك ، والويل لمن
يمسك بضرر . . .

- هل اشرف باسم منتقدي ؟ ..

- صياد الليل . . .

- انت لم تصطاد . . . بل أنتقت . . . يا فارس الليل . . .

اريد معرفة منتقدي . . .

- لم يحن الوقت بعد ، يا حسناء . . . بسلامة الله . . . ثم عرج

نحو منزله . . . نحو بيت . . . في السويداء . . . والحسنة وصلت منزلها

والاسرار تكتنفها ، لا تعرف لالغازها حلاً . . .

في منزل عصمت :

نامت العيون ، وعين عصمت لم تم ، وهي تتقلب على فراشها
لا تدري اي جنب يريحها ، والاضطراب النفساني ، شاغل معظم
افكارها . واهمه ، انتظار زوجها ، لعلمها بالموعد المضروب ، في
خربة الحريري ، عند منتصف الليل ...

واما زوجها ، فقد كان بالوقت نفسه ، اشد هولاً من
اضطرابها ، حيث تركناه ، حاقداً ، ناقماً ، في طريق عين المزرعة ،
بعد انخذه ، الانخذه كله ...

سار الى الخربة ، وهو لا يعلم ماذا يقول لهما . وصل الشارع
العمومي .. تقدم ... وجد جثة قتيل ... جثة مزرعة
بدمائها ... تبينها ... فاذهي ، جثة صاحبه حسن ... استغرب
الحادث واستفظعه ... تحول الى ناحية اخرى ... سمع
ازين ... تقدم ... وجد سيدة ملقاة على الغراء ... الدم يسيل
من فخذها ... تبينها ... فاذهي سعاد ... سعاد الساحرة ...
اذن سيموت ... اذن سيتقمص ... افعى ... ما العمل ... ابواب

مقفلة... مفاتيحها مفقودة... اين... اين اجدها؟ لا اعلم! مرت
الافكار بمخيلته مرور البرق... ثم استيقظ لنفسه، وتقدم نحو
سعاد، يسألها الخبر فاجابت:

- لا اعلم... وجل ما اعلم، ان يد مجهولة، اصابت منا مقتلا
وسرقت اوراقنا. واوراقي لاتهم، غير شخص في الوجود.
فانا اتهمه...

- من هو هذا الشخص؟

- هدا سر، لا ابوح به...

- هذا شأنك... ولكن الفجر، قد قرب، فما العمل

- العمل، هو ان اركب جوادك، واخرج به من الجبل،

قبل طلوع الفجر...

- لماذا؟

- حتى لا اسأل اولاً اسأل... ثم نلتقي بعد الشفاء...

لأنتقم...

- انشاء الله...

اعتلت سعاد، جواد الشيخ علي، وهي في غاية من الالم،

وبعد أن أستقرت على ظهره، أطلقت له العنان، حيث سار بها،

- يهب الارض ، ولجامه نحو حوران ...
- وأما الشيخ ، فقد رجع الى منزله ، قبيل شروق الشمس ،
وهو بحالة شديدة ، من التعب والغضب ... فاستقبلته زوجته ،
بما عهد بها من اللطف والمودة ، وسألته :
- أين كنت الى هذه الساعة المتأخرة من الليل ؟ ..
- كنت في جهنم ...
- أعاذنا الله من النار يا على ...
- كنت في سعير ، أحر منها ...
- لقد أرعبتني يا هذا ؟ ..
- اخرسني ، كل شر في العالم ، أصله المرأة ...
- وكل خير مصدره المرأة أيضاً ، فهي ملاك ان أحسنها ...
- والله ما هي الا ...
- ريحانة الارض ...
- خسئت ، ما هي الا شيطانة ...
- شيطانة ان أفسدتها ...
- مالك ومال الشياطين يا عصمت ...
- صدقت ... أأست بحاجة الى الراحة ؟ ...

- كلا .. بل أريد الذهاب الى نجران ...

- أفي هذه الساعة يا عزيزي ؟ ...

- أنا بحاجة الى الفرس الحمراء ...

- والأدهم ...

- قلت لك الفرس الحمراء ... يا بنت ...

وقبل أن يشتمها ، خرجت وعادت بفرسه الحمراء فاعتلاها ،

وسار بها في طريق نجران ...

مؤامرة بعمرتهم

ولم ينتصف اليوم الثاني ، حتى شيعت جنازة القتيل (حسن الحريري من حوران) والعشائر لا تعلم شيئاً ، عن علاقة سعاد برفيقها ... كما انه لم تعرف أسباب هذه الجناية ، سوى اشاعة سرت كالبرق ، بين القبائل والمضارب ان القاتل هو عزيز ... وعزيز لم يخرج في ذلك الليل العصيب ، من مضافة الحارس ، كما شهد له بذلك ، زوار المضافة ، والفراس الاسود ... وأما الاشاعة فقد التذت شكلاً جديداً ، تؤيد اتهام عزيز ، أمام الامير يحيى ...

فلم يجد الامير سبيلاً لارضاء العشائر ، الا استحضار عزيز ،
ووضعه في غرفة خاصة ، كوديعة لنهاية التحقيق ، مع الاقتناع
ببرائته وفعلاً استحضره بخديعة ، وأودع السجن الامة ثنائي ...
وفي الوقت نفسه ، كان الشيخ خليل الحمدان ، صاحب نجران ،
والامير فارس ، وحاشيتهما ، عاقدين مجتمعاً سريراً . في خرائب
القلو ، التي تبعد ساعتين ، عن السويداء ...

وخلاصة هذا الاجتماع ، ينحصر في امرين لا ثالث لهما :

الاول — القضاء المبرم على زعامة الامير يحيى ، ومساعدة
الشيخ خليل ، للوصول الى امارة الجبل ...

والثاني — الانتقام من الهدهد ، او عزيز . ومساعدة الامير
فارس لآتمام عقد زواجه على الفتاة ، طوعاً او
كرها ... وعلى هذه الخطة ، افتتح الشيخ خليل
المؤامرة ، بالحديث الآتي :

— القاتل هو الهدهد ، هذا ما نريد ان يكون ، وعلى هذا
المبدأ : لا يجب ان يخرج المجهول من جبل الدروز حياً ، بعد ان
تعرض لاسم الفتاة ، فضلاً عن تحديه الامير المحترم وانا والله لقد

اصبحت ارتاب بدرزيتة وجنسيته . فالانتقام الانتقام ، قبل
ان تنخفض كرامة الدروز ، في مضافات العرب ...

— انا من رأيك ، ومما يساعدنا على اتهامه ، امام الامير يحيى
الذي وضعه تحت كنف حمايته ، شاهدان ، سأسعى لايجادها .
وهذا عدل ، اليس كذلك يا أمير الجبل المنتظر ؟

فوقفت حاشية الامير ، وقالت بصوت جهورى : نحن فداك
يا امير ، وكلنا شهود عدل على الهدهد ...

— بارك الله في هذه الهمم ... ويجب ان لا يمس الدرزي ،

الا درزي مثله ...

فارتاح الشيخ خليل ، لهذه الاشارة الاخيرة وقال :

-- يجب على كل منا ان ينشر الدعاية ، ويدس الدسائس بين

عشائر جبل الدروز وهوران ، ليعلموا استيائهم ، ويطلبون محاكمة

القاتل (السن بالسن) وبهذا وحده ، تتخلص من مزاحمتة

ونرضى العشائر الحورانية ، التي تتحفز للاخذ بالنار ، فتصبح اميرة

الصحراء ، ملكا لسلطان الحب ...

فضحك الامير كثيراً وقال :

— وبعد ذلك ، نقيم الادلة والبراهين على سوء تصرف الامير

يحيى وظلمه ... وانه لم يرعى حرمة الضيف ، ولم يحفظ تقاليد
الدروز وعاداتهم ، وبهذا نملك عواطف العشائر ، ونضرب بها وجه
الامير ونقول :

— مات امير السويداء ، عاش امير نجران ...

— هذا فضل من الله ..

— وهو قريب ان شاء الله ...

— هذا اذا لم تقع الحرب ، بيننا وبين ابراهيم باشا المصري

فعادات الدروز تقضي بترك الضغائن الشخصية ، في زمن الحرب

— هذا هو المطلوب ، وبعد الحرب يكون المرغوب ...

— اصافحك على الدم يا أمير لبنان ...

— اصافحك على الدم يا أمير نجران ...

وارفض القوم وهم لا يعلمون أن وراء الالكمة ما وراءها ،

من عيون وأرصاد ...

الامير ونصواته :

أما الامير فقد ذهب الى غرفته ، وارتمى على سريره ، الحجري

يخاطب نفسه بنفسه :

خمس سنوات مرت ، وأنا اتطلع الى نموها ؟ الى اخضرار أغصانها
الى وسعة أوراقها ، الى تفتيح ازهارها . كل يوم كنت اسجد لله
أن يزيد لها مدناً وجمالاً وحياة ، وأنا بقربها سعيد . وأنا اشرق
جبينها ، وبرزت أعطافها ، وأصبحت روضة النفوس ، بعدت ...
واقصتني عنها بمراحل ... لماذا ؟ اليس لي حق الاسميّة ، في
هذا الجمال ؟ ...

آه من سلطان الحب ، الذي يتسلط على القلوب ، فيدميها ..
وعلى الامم فيستعمرها ، وعلى الجبال الشامخة ، فيدكها . وهو
جالس على عرشه ، والارض ومن عليها ، تسبح بتجده ، مجد الحب
واله الحب ...

اف منك ، يا دكتاتور الاستعمار ، كيف تجعل الانسان
ذليلاً مهاناً ، حتى العبودية ، ولم تكفني بهذا فقط ، بل تحقرتلك
النفوس الاية أو تضعفها ، حتى تطرح البخور ، على اقدامك ، ثم
تقودها الى الصحراء ، ساجدة . وهناك ... تكتب على قبورها
هنا ترقد ضحايا المحبين ...

مهلاً يا قلبي ، فلعل داء دواء ... ولكن الغيرة ... الغيرة
نارية ، ونارها لا تطفىء ... كما أن الحسد ، قد أكل من لحمي ،

وشرب من دمي . . . آه ما العمل ؟ ربي ! هل حقيقة ما سمعت . . .
وان مرمر لا تحبني ؟ بل هي تحب الهدوء أو عزيز ؟
كلا والف كلا ، ان هذا لا يكون وأنا أمير . . .
اتبغضين أميراً ، وتحبين غريباً ، لا حساباً له ولا نسب ؟؟ يجب
ان تحقق الامر بنفسي . . . واويل له ان احبك ، واويل لك ان
سامت نفسك له . . .

عزيز في السجن

ثم انتهى معه الامر ، ان ذهب الى عزيز في سجنه ، بعد ان
افتقد خنجره ، في حزامه ، ليكشف له حقيقة هذا السر ، الذي
جرح فؤاده . فوجدته نائماً ، ونومه كان من شدة عيائه في التفكير
عن طريقة ، تنفذه من سجنه . . . فتقدم الامير اليه ، ووضع يده
على كتفه وهو يخاطبه هازئاً : اسعد الله اوقات العزيز ..
فاستيقظ عزيز ، والتفت بالامير وخاطبه باحتقار :
— اشكر الامير على زيارته . . . ووقف على قدميه كالاسد
الكاسر ، واستعد لكل طارئ . . .

ولما شاهد الأمير، حركة عزيز غير عادية، وضع يده على الخنجر،
والتصق بالحائط، وهو ينظر إليه نظرات الحقد والضعفينة
فضحك عزيز من شكله الجنوني، وقال له:
- اتيت الى السجن، لترى فيه سجين الظلم والاستبداد،
أليس كذلك؟

- جئت لا تطلق سر...

- دع عنك هذا الخبل، واسمع ما أقول:
من أذن لكم بالقبض عليّ؟ من وافق على سجن شخص،
لم يسفك دم انسان؟ أهذه هي شهامة الدروز؟ أهذه هي كرامة
الضيف؟

فوالله، لو كان الحارس في السويداء، لما تجاسر، أي مخلوق
على غدري، فاذا كنت أمير، ابن أمير، فبارزني؟! لا، فالجبان
لا يبارز الفرسان، اليس كذلك؟

- علمت بانهم حكموا، أو سيحكمون عليك بالموت، غداً أو
بعد غد. وعلمت أن الحوراني، لم يقتل من يدك وعلمت أن الفأس
معد لك. وبعد أن علمت كل هذا، جئت لأعرض عليك حريرتك

- فأن أردتها ، سرت أمامك في طريقها ، ومتى سرت أمامك ،
لا يجرأ أحداً من الدروز أن يقف في سبيلك ...
- اظن ان مساومتك ، غالية الثمن يا أمير ...
- بالعكس فهي تتوقف على كلمة تخرج من فيك ...
- أأتنازل لك عن ...
- لا . بل اريد ، أن تفيدني ... هل ان الحسناء تحبك .
وأنت تحبها ...
- اني أحب جلالها وجمالها ...
- وهل هي تحبك ؟
- كلانا في الهوى سوى ...
- وهل تعارفنا ، في غير هذا المكان ؟
- في مدينة الحرية بيروت ، تعارفنا . وتحت سما . شواطئها
اجتمعنا ...
- هل اجتمعنا كثيراً ؟ ...
- سبعة فصول من عامين ...
- سنة وتسعة أشهر ، يالهول ما أسمع ...
- وهناك ، تعاهدنا أيضاً على الوفاء ...

.. اريد أن أعرف السر ...

- وأما عن السر ، فلا تسأل ، لأن السر من أمر قلبي ...

فاضطرب الأمير ، من عبارته الأخيرة ، كأن سهم ضمن

فؤاده ، فعلت مراحلي الختد في صدره ، من شدة الغيرة ، فاشهر

خنجره ، وهجم على عزيز ، وهو يقول :

- الويل لك ، أيها المقيم ، فقد طوقت الحسنة ، وضاجعتها ،

وظفرت بوصالها ، لهذا يجب أن تموت شرميتة ، يا كلب السوء ...

- خسئت يا أنجس الكلاب ، فعنافها أطهر من ان يلوثة نذل ،

بشققة لسانه ... وصدمه يديه الفولاذيتين ، صدمة مستقتل ،

قبض باليسرى على خنجره ، وباليمنى على عنقه ، وضغط عليه ،

بما اعطاه الله من قوة . فارتخت مفاصله ، وجحظت عيناه ، وتدلّت

شفته ، فوقع الخنجر من يده . ثم سقط على الأرض ، فاقد الحركة

والحس ...

وفي الحال ، نزع عباءة الأمير ، والتف بها ، واخذ كوفيته

وعقاله ، ووضعهما على رأسه ، وخرج من رواق الأمير ، ماراً أمام

الحراس الذين حيوه بالسلام والاحترام ... دون اي اعتراض ...

ولما بلغ الشارع ، تنفس الصعداء ، واسرع يعدو نحو خربة سميع

ماشياً على الاقدام ٠٠٠ وهناك قابله الفارس الاسود ، الذي سبقه اليها ، ليجعلها مقراً سريراً له ، ولسيده بعد فراره ٠٠٠

في نهر م النيل

وبينما كانت عشائر حوران ، تستعد للأخذ بأر قبيلهم الحريري من الدروز ، وكان عزيز يستعد أيضاً ، لتأليف عصابة ، بواسطة امواله وفارسه الاسود ، لردء الخطر عنه ، والوصول بها ، الى خطف حسناؤه ، من بين براثن الاسود . كانت عشائر الدروز بالوقت نفسه ترغى وتزبد ، غاضبة نائمة ، على عزيز ، بعد ان اعتدى على ضيفهم الامير ، وفر من السجن . والزعيم الفارس منهم ، ينتخبى امام الامير فارس ، ويقسم على قطع رأس عزيز . ولكن اين لهم ان يظالوه بأذى ، وقد اصبحت عربان اللجاء ، وفي مقدمتهم ، الفارس غصوب ، برجاء من الحسنة ، تشد ازره ، وتصونه من غدرات الزمان ٠٠٠

وأما السيدة عصمت ، فقد أصبحت لا تفارق عزيزتها مرمر ، سواء كان ذلك ليلاً أم نهاراً ، لغياب الحارس في لبنان ... ولم

تكتفي بهذا فقط . بل جمعت شتات المرأة الدرزية ، من عرائس
وأوانس ، تحت زعامة الأنسة مرمر ، التي كانت تلقي عليهن ،
محاضرات اصلاحية ، لاستعدادهن ، لعقد مؤتمر نسائي ، يكون
فجراً نيراً ، لتنوير المرأة العربية ، في الصحراء . . . وتأيد حقوقها
وحريتها . ومع كل ما تقوم به مرمر من مجهود ، لم تنس واجبها ،
نحو ضيفها وحبيبها ، بعد أن علمت ، ما آل اليه أمره ، وما هي
عليه العشائر من حقد ، بسبب الدعاية ، التي يقوم بها الامير
فارس . . . فتساعده سرّاً ، بوساطة عصمت ، التي كانت تطلع
عزيز ، عن المؤامرات ، التي يعقدها الامير . . . دون أن يعلم
عن مصدر هذه المساعدة . . .

وإذا انتقلنا الى الامير فارس ، وصاحب نجران ، والشيخ علي نجدهم
لا يتركون فرصة ما تمر . الا ويعقدون ، مؤامراتهم السرية وآخرها
قرروا فيها اعلان الثورة ، على الامير يحيى ، واحداث المشاغبات ،
بين العشائر ، لتعم الفوضى في الجبل . . . وفي وسط العاصفة
الهبوءة يهجمون على الامير يحيى ، ويخطروه ، بالجللاء عن السويداء
اطاعة لزعماء العامية . فإن أبي قتلوه . وان أطاع ولوه زعيماً على
عري . وبعد أن استولوا على السويداء وينادوا بصاحب نجران ،

أميراً على الجبل ، في عاصمة السويداء . يقبضوا علي زمام الحسنة
ويعقدون زواج الأمير عليها ... رغم أنف والدها ... وبعد أن
قرروا ما قرروا ، خرج من وسطهم ، فارس ملثم وقال :
سوف لا يتم هذا ... فالحرب على قاب قوسين أو أدنى ... ولم
يتبينوه حتى صار وراء الصخور ... فغضبوا ... ولكن دون
إفادة ...

وفي غسق الليل ، ومن وراء ستار الضلام ، دخل السويداء ،
فارس أمرد الوجه ، صفراوي اللون ، يتبعه فارسان ، مدججان
بالسلاح ، وساروا جميعاً ، في طريق وعرة المسالك ، نحو خرائب
البحار ، كأنهم ، قد اعتادوا معابر ومسالك تلك الحرب ...

في مضرة إبراهيم باشا :

وبعد هذه الجلبة والضوضاء ، سهت العيون وتخدرت الأعصاب
فرقدت الأشباح آمنة مطمئنة ، على وعيدها ، ووعودها ،
أحلامها وأوهامها ، سيرها وخططها . وفي الصباح صدحت موسيقاها
على أنغام متضاربة المزارب والمآرب ، ولكنها جهلت ، أو
تجاهلت ، أن نظام القضاء والقدر هو فوق كل دهاء وعبر ...

وفي ليلة وضحاها ، أعلن الغازي ، إبراهيم باشا المصري قراره
الآخر على جبل الدروز والصحراء . كما أعلنه من قبل ، على مدن
سوريا وقرائها ، وأرسل إليه ، وزيره محمد شريف باشا ، على رأس
جيش منظم ، يحمل أوامر سيده ، بجمع السلاح ، وتعداد النفوس
والتجنيد الاجباري ، وتخصيل الجزية ، وجمع الضرائب ، من
خيل وجمال وأعمال . ولم يتصل الخبر ، بالامير يحيى وزعماء الدروز
حتى تألف منهم ، وفد كبير ، قصد دمشق ، لمقابلة الغازي ،
واستعطافه . ولم يبدأ الامير الحمداني ، بالكلام حتى بادره ابراهيم
باشا بالصفح على وجهه ، مهدداً اياه ، بعدم المماثلة . وقد أمهله عشرة
أيام ، ان لم يسلم فيها السلاح لعدم . فخرجت المشايخ من حضرته
خائبة نائمة

مؤتمر درزي خام

عقب عودة الوفد الدرزي من دمشق . عقد اجتماعاً عاماً ،
بشكل مؤتمر درزي ، يمثل زعماء القرى ، من دروز وعرب ، وفي
مقدمتهم الامير يحيى الحمدان ، والمشايخ خليل ، وحارس ، وعلي

الجدان . وأبو نجم حسين درويش ، وأبو يوسف حسين أبو عساف
وقاسم القلعاني . ومحمود هزيمة ، وأبو محمود عز الدين الحلبي . وحضر
أيضاً الامير فارس أرسلان ، وشبلي أغا العريان ، من لبنان ،
ومشائخ عرب السلوط ، من الجاه ، وقارسها غصوب ، وغيرهم
من مشائخ عرب الصحراء . وزعماء الاسلام والمسيحيين ،
المواطنين ، الشيخ ... وبعد المناقشة والتقسيم العظيم ، بين الرؤساء
والعتلاء ، والجهال والبدو والحضر ، قرروا اعلان الحرب ، على
ابراهيم باشا ...

ثم بحثوا في أمور كثيرة ، لا يمكن ذكرها . ومنها هذا القرار :
أولاً — انتخاب ، الامير يحيى الحمدان ، أمير جبل الدروز ،
قائداً عسكرياً ...

ثانياً — انتخاب لجنة عامة ، تنظر في شؤون الحرب ،
وتحاكم من يتخلف عنها ، برئاسة الشيخ خليل الحمدان ...

ثالثاً — انتخاب ، لجنة خاصة ، تنظر في شؤون المرأة
وصيانتها ، في الأزرق . مؤلفة من خمسة عشر فارساً
بقيادة الشيخ حارس الحمدان ، والامير فارس
أرسلان ، والفارس غصوب ، فارس الجاه ...

ثم قرروا ، الالتجاء الى اللجاء الوعر ، وجعله ساحة حرب ،
لتحصينه ولوجود الجيش المصري ، على حدود السويداء .
وارسال الحریم الى الازرق ، مع بقاء القادرات منهن على الخدمة
في منطقة الحرب ، ليؤمن بجلب الماء ، واعداد الطعام ، والتجسس
على مناطق العدو ... والاخيرة قد أخذن عليها ، شهادة تاريخية
لم يسبق لغيرهن سابق ، في القرن التاسع عشر ... ولم يزل ذكر
بعضهن ، في الشجاعة والاقدام ، مضرب الامثال ، كفاطمة الاطرش
وعصمت الحمدان ، وسعيدة بنت عز الدين الحلبي ... الخ ...

وفي السابع ، من شهر كانون الثاني (ديسمبر) سنة ١٨٣٦
انتقل الدروز الى اللجاء ، الوعر المسلك ، والخيف معاً . بنحيلهم
وجاههم وطرشهم . كما انتقلت الحریم ، الى الازرق بنحيامها ، واثاث
منازلها ، تحت رعاية والد الحسناء ، والامير فارس ، والفارس
غصوب حفيد صاحب اللجاء حيث كان في ركاب اخته الحسناء
في الرضاع ... الذي لا يترك مجالاً للامير أن يقترب منها ...

وبعد ثلاثة أيام بدأت المعارك ، في وادي اللواء على بعد خمس
ساعات من السويداء ...

عزيز ونصوراته :

لم يأوي عزيز ، الى خربة سميع ، متخفياً ، والفارس الاسود يحرس طرقها حتى أخذ يفكر في تقلبات الدهر وكيف أنه ينخفض أقواماً ويرفع آخرين . ويخلق في صدور الاشرار رحمة ، وفي صدور الابرار نقمة تصفح التاريخ العالمي عن ظهر قلب ، فوجد أن المؤرخين قد ضلوا عن طريق الصواب أو ضلهم الأهواء السياسية والأيادي الحديدية التي استأثرت بمقدرات الامم فسقطت الاخلاق في عهدها . مما جعلت في المجتمع الانساني ، فئة اغترت بمظهر القوي المستبد ، فصيرت شيخها مارقاً . وشابها فاسقاً ولم تكفي بهذا فقط ، بل عبثت بالنظام الاجتماعي فانزلت المصلحين منزلة اللصوص ، واللصوص منزلة المصلحين حتى اختلط الحابل بالنابل ، ولم يعد يعرف الخبيث من الطيب لماذا ؟ لأن اولئك عا كسهم الدهر ، وهؤلاء ساعدهم الحظ (والدنيا مع الواقف) كما هو متبع في عرفهم . أو الحكم للقوى مسترشدين بمبدأ تنازع البقاء وبعد أن توقف قليلاً ، رجع الى مناجاة نفسه :

كم من ثورة اصلاحية، أوصلت أربابها الى الاعدام . وكم من
عصابة ثورية رفعت رجالها ، الى منحة الاحكام . كالاسماك ،
كبيرها يأكل صغيرها ، وقوبها ينهش ضعيفها ، دون ما سبب
الاحب الاستئثار الذاتي :

هذا ما تصوره عزيز وهذا ما جال بفكره ، وهو في موقف
الخطر ... ثم عاد الى مخاطبة نفسه : ماذا يجب على أن أعمل ؟
يجب أن أفكر ... وافكر ، الى أن أصل الى الحقيقة ،
والحقيقة بنت البحث . يقولون : ان العقل أسعى من العاطفة ،
والحيوان الناطق خير من الحيوان الاعجم . كما يرشدنا (الدستور
الانساني) الذي يوجب على الانسان نصرة أخيه الانسان . أحب
أم كره .. لذلك سأسعى في اغانة الملهوف ، واسعاف المصاب ،
من بني الانسان ...

هناك في الغرب أمم ارتقت برقي المادة ، التي جعلتها ترفق
بالحيوان ، نصرة للحيوان . وهنا في الشرق أمم ارتقت برقي
الروح ، فيجب أن تسمو بالفكر ، لترفق بالانسان ، نصرة للانسان
لماذا ؟ لأن الانسان امتاز عن الحيوان ، بنور بصره وبصيرته
والحيوان امتاز عن الجماد بقوة لمسه وحسه . فهذا حسن ، وذاك

أحسن . فأحسن هو البصر الذي له قدرة ، على امتداد الضوء الكهربائي ليحسن طريقته في الحياة . والأحسن هي لبصيرة الوقادة التي لها قدرة بنور ، العقل والحكمة ، أن تخزق حجب السكّات ... وبالبصيرة ، لا بالبصرة ، يصل الإنسان الى أدرة اليتمية ، الى فضيلة الحقيقة لتكون له خير رسول ، في الحياة ...

ولم ينتهي عزيز ، من تصوراته الفلسفية ، حتى خطرت له خاطرة عملية ، فأرتاح لها كثيراً ولم يستقر رأيه على تنفيذ فكرته الجديدة حتى استدعى الفارس الأسود وحذره ، بعد أن فوضه بصرف ما يصرف من الذهب ، لتأليف عصابة تتخذ لها شكلاً جديداً في التاريخ ...

وبعد ذلك بأيام قليلة وصلت له رسالة من مجهول علم منها أن عشائر الدروز قد أعلنت الحرب على ابراهيم باشا المصري وأنها ستلجأ الى اللجاء ، والشيوخ والحريم سيلتجئون الى الأزرق كل مدة الحرب تحت حماية فرقة من فرسان الدروز بقيادة والد الحسناء والامير فارس ، والسيد غصوب ، وان هذا الكتاب هو بمثابة تنبيه له لاتخاذ الحيطة اللازمة ، حول هذه الحرب الضروس ... فانشرح قلبه لعامة أن الخط هو خط حسائه وانها تحبه وانها

تهم بحياته . ثم انقبض صدره لوجود الامير فارس بقرب حبيبه
ولكن هذا الانقباض لم يدم ، لانه رجع الى اعتقاده من أن
الحسناء حكيمة الحكيمات العاقلات حقاً . لهذا عاد الى تفكيره
الاول ضارباً صنجاً عن الامير متأملاً في موقفه الذي جعله بين
امرين . الامر الاول واجبه نحو وطنه . والامر الثاني ، واجبه نحو
قلبه . الى ان هتف باعلى صوته

الاخلاص للوطن واجب والاخلاص للحب واجب . ولكن
الرفق بالانسان ، هو فوق كل واجب . هذا ما أريده ، وهذا ما
تريده الحسناء ... وهذا ما أشارت اليه ، في خطابها المقدس ...
وبعد ان قرر موقفه ... انهكته قواه ... فاستلقى على فراشه ...
وتروض في مغازلة مالكة ليه .. تم تصور عينيها الجذابتين ...
فانشد نشيد الهيام ...

الحسناء في الازرق :

وبينما كان الجيش المصري بقيادة الوزير محمد شريف باشا ،
مشتبكا مع الثوار في السلاح الابيض ، في موقعة ، دامت ثلاثة

ايام ، بالقرب من أم رمان - قرية من قرى اللجاء - كانت الأنسة
مرمر ، جالسة في قصر الازرق ، وعلى يمينها السيدة أم غصوب
وعلى شمالها السيدة عصمت ، وأمامها آ نسات درزيات ، وسيدات
عربيات ، يشغلن اوقانهن ، في دروس عبقرية ، فطرية... وجلها ،
بحث عن المرأة الشرقية عامة ، وعن المرأة الدرزية خاصة ، وهذا
مادار يدين من الحديث :

نظيرة - ان التبرج ، وتخفيف الملابس ، والتمرغ على الشواطئ...
هي كلها بدع ، من بدع الشيطان ، اخترعها الغرب ،
ليستعبد بها الشرق ، ولكن الله اراد ، أن تسقط فيها المرأة
الغربية ، فأسقطها ، حتى اصبحت عقيدة ، متأصلة في
نفسها... والواقع : ان من حفر حفرة لأخيه الانسان
وقع فيها ، وكما يقولون : طابخ السم آكله...
عصمت - هذا صحيح ؟!!! فالغرب غرب ، والشرق شرق ،
حتى في الازياء ، والخلاعات . ولكن المرأة الشرقية
المتفريجة ، هي أشد تهتكاً ، من الغربية ، حيث تقلدها ،
في سوق الاخلاق ، غير ناظرة الى هبوط اسعاره . والرجل
الشرقي يقلد الغربي ، في اللصوحية ، والهمجية ،

والاستعباد ... وقد صدق الرسول :

إذا غضب الله على عبد رزقه مالا حرام . وإذا اشتد
غضبه عليه . بورك له فيه . أفبعد هذا الحديث القدسي
من جواب ...

حسان - وزيدى على هذا يا عصمت : هور المرأة في الملابس
وتطرفها في الحرية ... كما يزيدا الرجل ، في اباحة القتل
وسفك الدماء ...

أم محمود - هذا لا ينطبق على المرأة الدرزية ، وان كان بعضه
ينطبق على الرجل . فالمرأة عندنا لا تستقر على حال ،
من القلق . فساعة تراها منكسرة الخاطر ، من معاملة
زوجها المتوحش ، وساعة تراها بائسة ، سجينه في
خدرها ، لا يمكنها ، أن تبصر نور الشمس الا نادراً .
ومنهن من يشغلن ليلهن ، قبل بهارهن ، في أعداد الطعام
للضيوف - هذا في السلم . وأما في الحرب ، فحدثن عنهن
ولا حرج عليكن ... وإذا اردن أن نقول كلمة
حق ... فالقلاحات الدرزيات ، يتمتعن في راحة ،
وطمأنينة ، لا يخامن بها نساء الزعماء ... سواء كن

في الحقل ، أو في البيت ...

فاطمة - المرأة خلقت لزوجها وبنيتها ، طعامها وشرابها ، لثمتها ولبسها . ومن العار عليها ، أن تطمع الى غير ذلك !!! ؟
مرمر - اسمع يا عزيزاتي ما اقول : الرجل رأس المجتمع الانساني ، والمرأة قلبه . أي أن الرجل وزير الخارجية ، والمرأة وزيرة الداخلية . وبعبارة معروفة في لبنان (الرجل جلاب ، والمرأة دولاب) ثم ان المرأة مرآة الرجل ، فان أحسنت صفاء داخلية ، وأخلمت في حبها لزوجها ، تجلى المظهر ، في خارجيتها . وان افسدت الصفاء في داخلية ، وعكرت مزاج زوجها ، اوجبت السخط عليها ، حتى لو كان زوجها شيخ وخط الشيب هامته . والى هذه المبادئ السامية ، اشار الرسول في حديثه الشريف : جئت لأتمم مكارم الاخلاق ...

والخلاصة : ان التربية واجبة ، فالعقل السليم في الجسم السليم والتربية على أنواع : وأما النوع الذي يفيد المرأة الشرقية ، هو الرياضة البدنية ، وترويض الفكر ، وتربية النسل ، على قواعد مسيحية ، وروحية ، واجتماعية . ثم النظافة في انيس — والنظافة من الايمان

والا كل والشرب مع القناعة ، والعمل بصدق و إخلاص وأمانة .
و ادارة المنزل ، ادارة متقنة مع الاقتصاد كاملة . ولا يسعني في هذا
الموقف ، الا أن أوجه كلمة بعيدة الرمى وهي : يجب أن تعلم الاجيال
المقبلة ، اذا كان العرب ، قد وضع السم في الدسم ، ليستعمر الشعوب
المغلوبة على أمرها ، فالشرق سيدتقطر هذا السم ، ليحمله ترياقا ناجعا
ودواء شافيا ، للأمراض الاجتماعية ، التي فشى وبائها ما بين
الشعوب الشرقية ، ليقمها داء الخمول والجمود . ولا يتم هذا ، الا اذا
تحررت الفتاة ، لتكون أموزج العائلة المقدسة . . . وبعد ذلك
تردد الامم ، شعار الزواج :

منه كانت رابطته الحب ، لا تفرقه شريعة . . .

عصمت — عاشت أميرة الصحراء . . . عاشت آلهة الجمال والحب
والحكمة . . .

لا أشم وردة

مر شهر ان على الحرب ، والحرب زيد اشتعالا ، وتزيد لهباً ، وتزيد
فضاعة وتزيد ويلا على الانسانية . وعزيز يقوم في عصبته المثة ، باجل

الخدمات، من اسعاف المصابين، الى اغائة الملهوفين، إلى القاء المحاضرات
والمواعظ الاجتماعية الاشتراكية، الى تنوير الازهان، والحث على
السلام... كل هذا، وفرسانه، أو تلاميذه، الذين انشروا،
بين المتحاربين، ليعلموا لهم، ارادة أستاذهم المربي، من ترك
الحرب، والرجوع الى السلم. يحرصون العامية، ويدفعونهم لعدم
التعاون، مع الفريقين، مستندين، على كلمة عزيز الغالية: الحرب
عمل من عمل الشيطان، فاجتنبوها...

وفي ذات ليلة، بينما كان مستلقيا على فراشه الصخري، داخل
المغارة، أقبل قبيل منتصف الليل، فارس أمرد الوجه، ملثم
بكوفية حمراء وطلب من الفارس الاسود، الدخول على سيده
الرئيس، وبعد أخذ ورد، تمكن من الدخول، بعد الاستئذان
ولم يقف الفارس، حتى أثار عزيز سراجة الضئيل، ووجهه نحو
وجه الفارس ليتبينه. فإذا هو سيدة، بلباس الفرسان، سافرة الوجه
فغضب وقال لها: احذري ياسعاد... فالاشاعات حواك كثيرة
فكيف وصلت الى هنا؟

- شهر قضيته في حوران، وأنا طريحة الفراش... وشهر في

خدمتك يا عزيز ???

.. كيف هذا؟

.. كنت بالقرب منك ، كلماء فوق ظهور الجمال ...

.. هل أنت وحدك؟

.. مع جماعة من حوران، وكلنا في خدمتك ...

.. وما هو سبب مرضك؟

.. رياضة أصابة فخذى ... أتجاهل يا عزيز؟

.. كلا لا أعلم شيئاً ... ومن هو الناعل؟

.. لا أعلم ... وإنما أئدى سرق أوراق حبنا القديم يعلم؟

.. ما علينا ... لماذا أردت الدخول علي ، في هذا الوقت ، المتأخر

من الليل

فتبست سعاد ، وقدمت له ، فرخة محشوة بالارز والصنوبر ،

مع كمية من العيش الحواري ، وكوز من الماء الزلال وهي تقول :

.. كل هنيئاً ، واشرب مريئاً ...

.. ليس لي أن أتناول ، أى شىء ، من يد لا أحبها ...

.. أهذه هي المرة الاولى ، التي تأكل بها من يدى يا عزيز ..

.. لست بحاجة الى الزاد ...

.. أتخاف ؟ ...

- كيف لا أخاف من النساء ، ومنهن ، جواهر وقواهر وعواهر
لا بل ، كيف لا أخاف من زاد العاهرات ، وهو كالسم في الدسم؟!
- وزاد الدرزية أيضا؟

- الحسناء من الجواهر ، وزادها ، هو زاد روجي ، فلا يمكن
لشياطين الأرض أن تدنسه ... أسمت؟ ..
- وعزيز؟

- عزيز أسيرها ، عزيز خادم حكمتها على الأرض ، أفهمت ...
- عجبني في حبك عظيم يا عزيز ... أنت تحبها ... نعم نعم ...
اني ارى سماء الحب بادية على وجهك ... أريد هذا الحب ...
نعم أريد سعادتك يا عزيز ... اريد ان تحبها ... على ان تعدني
في البقاء معها ... لا بل أرغب البقاء بقربك ، لاخدم نعالها!??
- هذا لا يكون ابدا ... لانه لا يستوي ، الخبيث مع الطيب ..
- اسمح لك ، ان تقول ماشئت ... فالايام التي قضيتها بقربك
جعلتني أسيرة حبك ، فلا تحرمني من عطفك ، والشريعة السمحاء
تبيح لنا تعدد الزوجات ...

اتجهلي يا عاهرة ، ان الفضيلة المجسمة في مرمر ، تأتي الاتفاق
مع الرذيلة المجسمة بك ... فالخبيثون مع الخبيثات ... والطيبون

مع الطيبات... وفي الشريعة السمحاء، كمال واكمل. فالاكل، بالآية:
 ان خفتن ان لا تعدلوا فواحدة... وعلى هذا الكمال الاكمل،
 اقسمت يمين الله العظيم. وعلى هذا الاكمل، اسست الدروز
 عقيدتها في الزواج... فأرجوان لا تحوجيني فتخرجيني والسلام...
 - بحقك اغفر لي.. بحقك اجعلني محظية... بل اجعلني آلة
 تحركها ارادتكما... عدني بحبك... وانا آتيك بها، رغم انف
 الامير... عدني... وانا ادعك، تتمتع بها، على صدري،...
 عدني... وانا ادعك، بان اغسل، عطر حبكما بدموعي...
 آه... اريد ان تحبني يا عزيز... لماذا هذه القساوة؟.. لماذا هذا
 الجمود؟... أليس لك قلب؟... ثم ارتمت على صدره وضمته
 الى صدرها وهي تقول: نظرة منك تجعلني سعيدة!!!?
 فصاح بها، والغضب قد أخذ منه كل مأخذ، وطرحها الى
 الارض بشدة، وقال لها: اغرني عني يا ملعونة...
 فتعلمت، ثم نهضت، وهي تبتلع بريقها، وقالت: يدي
 لا تمتد الى من قطف زهرة حياتي!!?
 فغضب عزيز من جملها الاخيرة، واستفزته عوامل نفسه
 الكامنة، وقال:

نعم ياسعاد ، انه لقد دنت الساعة الرهيبة ، التي بها أعلن لك
قرارى الاخير. كما لايسعني في هذا الموقف ، الا أن افهمك ،
قيمة نفسك عندي :

قطفت زهرة حياتك الاولى . نعم قطفتها ، حيث كانت
لذيذة كالمخدر (الكوكين) وكانت السعادة بقربك ، راحة
للجسم . راحة بعد الاستنقاع في الماء البارد ، في يوم اشتد حره
من سرور ، ونشوة ، وانتعاش .. فمنهم من خلق لسوء حظه ،
يتأثر منه ، ذلك التأثير المذيد المغربي ، الذي ينحيل المخدر ، في
دور الانتعاش ، في اللحظات الاولى ، للنشوة ، سماع تاوهات
نسائية لذيدة ، تحرك العواطف ، وتثير الشهوة ، في آن واحد...
حتى تكون السبب ، في تهالكه عليه ، وادمانه ، الى أن ينتهي
في هاوية الشقاء ... ومنهم من ميزته الطبيعة ، بميزات السمو ،
فلا يجدون فيه أية لذة ... فبحكمة هذا التائب ، ومحافضة على
النسل الانساني ، من جرثومة الفساد ، والامراض النسائية السارية ،
ابتعد عن حواء الضعيفة ، حواء صنيعة الحية المنساء .. التي تتنقل
من غصن الى غصن ... فعزير لا يريد أن يشم وردة يشمها غيره ...
افهمت ؟ لا أريد أن أشم وردة شمها غيري !!! ؟

وكانت سعاد منكسرة القلب ، طول مدة حديثه ، ولكن لم يصل الى جملة الاخيرة ، حتى لسمتها الغيرة ، فاصابت حبة قلبها ودفعتها عوامل الانتقام ، فقالت :

— اسمع يا عزيز ... فالوردة التي كنت تشمها ، لم يشمها قبلك أحد ... وعندما قطفتها ، واستنشقت عطرها ، طرحتها للذباب؟! افيعد هذا من لوم وتأنيب؟! .. اسكت يا هذا! واعلم أن المرأة التي تطعن في قلبها ، وتطرح في الشوارع ، هي أشد خطراً ، على الهيئة الاجتماعية ، من اللبوة الخارجة من عرينها مجروحة ...
— حذار ايها الافعى ...

— اقتلني يا عزيز ... اقتلني ... وها صدري معرض لخنجرك ...
ولكن لا اسمح لك ، أن تطعن قلمي ...
— كفى لقد ضاق صدري ...

وانا لقد ضاق صبري ... كلمة اخيرة ... اريدني خادمة؟
— كلا ، والف كلا ...

— اذن الى اللقاء ... الى الانتقام ...
وخرجت ، وهي تتمثر باذيالها ، والمرارة تقطر من لسانها ،
وعزيز رجع الى فراش الطبيعة ، منهوك القوى . . .

خيانة سعاد :

الامير فرقد امير من امراء العرب العاربة ، الذين اشتهروا
بالكرم والجود والفروسية ، نزل في صيف عام ١٨٣٧ في
ضواحي عمان (عاصمة شرق الاردن اليوم) بالقرب من قصر
الازرق ، للاصطياف بفرسانه ورجاله
وبعد ان دق أوتاده، ونصب خيامه وسرح (طرشه) ، في الوديان
والجبال . دخل ذات يوم الى صيوانه الكبير ، الذي أعده للضيوف
ويدنا كان يشرب القهوة مع رؤساء قبيلته ، دخلت عليه سعاد ، في
شكل محدثة ، من محدثات العرب ، وأطنبت في الامير وفرسانه ،
حتى استمالتهم اليها ، وحركت فيهم النخوة العربية ، وتغالت في
وصف الامير ، الى أن أوقدت في صدره ، نار الكبرياء والفخر
الجاهلي ، مما اجتذبتة الى سماع ما تريد أن تقوله له، الى أن قالت :
أأمير العرب ، من منذ شهر ، مرت في اللجاء ، فوجدت
جيش الباشا المصري ، معسكراً في ضواحيه ، ومحاصراً طرقة ، وهو
يستعد للهجوم على الدروز ، للقضاء عليهم . وقد علمت ان العرب المرتزقة
ستسطوا على حرم الدروز ، فهالني الامر ، وقلت : أيليق بالشاب

الامير، والاسمر الجذاب ، صاحب الطلعة الرشيقة، والبدر التمام ،
أن يترك الدرزية الحسناء ، قرالسويداء ، تسببها الاعداء ، والامير
قاعد مقعد في صيوانه — والحسناء شمس والامير قمر ؟
— افصحى الكلام ؟

— والله يا امير ، ظهر بين اميرات الجبل ، درزية حسناء ، هي
كوكب الجبل الساطع ، وشمسه النيرة . ويلقبونها النساء بالاهة
الجمال والحكمة والله! ... فخفت عليها ، من أن ينال يدها غيرك ...
— بنت من هي ؟

— والله هي خفيذة الامير حمدان امير جبل الدروز ...
— افتاة هي ؟

— هي بكر لم ينضج صدرها بعد ...
— عمرها ؟ ..

— بعد تمام البدر ، باربعة ليالي ، هو ربيع طلعتها يا امير!!?
— وخرها ؟

— هنا في الازرق ... و اشارت الى الطريق الموصل اليه ...
— من يجرسها ؟

— نخبة من فرسان الدروز ...

فوقف الأمير ، وانعم على المحدثه ، ببدلة مزركشة ، ثم قال
بغضب : هلموا يا فرسان العرب ، الى الازرق ... فرددت الفرسان :
الى الازرق ...

غضب الحسنة :

في منتصف الليل ، كانت الحسنة ، راقدة في فراشها ، لتستريح
من عناء نهارها ، الذي اشغلته في التهذيب والترويض ، وهي
فرحة مسرورة ، من نجاح مؤتمرها ، الذي سيعقد قريباً ، ومن
تكليف الفارس غصوب ، بدعوة حبيبها عزيز ، ليكون بقربها ،
ساعة انتصارها ، ..

وبينما كان والدها الحارس ، في المرور ، على نقط الاستحکامات
وكان الفارس غصوب بين مضاربه ، يستعد للرحيل الى اللجاء ،
لمقابلة عزيز . تاركين الامير فارس يحرس قصر الازرق ، برجال
حاشيته . كان الامير بالوقت نفسه ، يدخل غرفة مرمر متنكراً ، بعد أن
استعد لهذه المفاجئة الريعة ، ووضع على حراستها في الخارج ،
فرسان من حاشيته ، هذا اذا حاولت الفرار . ولم يتوسط الغرفة ،

حتى كشف قناعه ، وتقدم الى فراشها ، وجلس قرب رأسها ،
وهو يتأمل بشعرها ، المسترسل على كتفها ... تأمل بضعة ثوان ،
وهو في بحران ، كأن ضميره ، كان يؤنبه ، في تلك اللحظة .
ولم يسكتها ، حتى استيقظت مذعورة ، وجلست في فراشها ،
ونظرت اليه نظرة استغراب ، سحقت كبريائه ، وقالت :

- لماذا انت هنا يا امير ؟ ..

- جئت لزيارتك ...

- من اذن لك بالدخول ؟

- قلبي ...

- لماذا لم تدخل البيوت من ابوابها ؟ والشمس في رابعة النهار ؟

- دخلت كثيراً .. فوجدتها موصدة ..

- انا لا اسمح لك بالدخول الى مخدعي ...

- كان زمان ومضى ...

- ماذا تعني ؟ تريد أن تقول لك : اخرج !! ا ؟

- أعني انك خاصتي ... ولا اخرج الا برفقتك ...

- اريد ، أن تبقى كرامة الامير والدك محفوظة الجانب ...

- لا يمنع هذا يا امير ... وبعد ربع ساعة تكون في

طريق لبنان ...

- اذن ، دخولك دخول النصوص ... فانا لا اذهب ...

- لافائدة لك من المقاومة ... وقد استعدت لكى شي ،

وهاحشيتى كلها تحرسك ...

- والله يا امير ، لا انتقل من هنا ، الا وانا جثة هامدة ...

- اعزيز افضل مني يا امير ... وهو غير معروف من الدرر؟! ...

- هذا شأني ... فعزيز اكبر شهامة منك ...

ثم نفرت منه ، وتناولت خنجرها ، ورفعته فوق صدرها ،
تريد أن تطعن به نفسها ، فشكها من يمينها ، وضغط عليها ، فسقط
الخنجر من يدها ... وبإشارة كانت على ظهر جواد ، مكومة النهم
مكتوفة اليدين ...

وبعد أن أمر رجاله بالسير ، التفت الى الازرق ضاحكا وقال:

الوداع ... فقد استغدت منك بالحسناء ... وكفى ...

فارسه الامير شرقر

وفي هذه اللحظة ، طوقت ارسان الامير فرقد ، قصر الازرق

وهجمت على الامير فارس ، وفرسانه ، وأخذوهم أسرى ، وبينهم
الحسناء . فأراد الامير فارس ، أن يدافع عنها ، فطعنه أحدهم
بسنان سيفه ، أرماه الى الارض ، مضرجاً بدمائه ... وبعد أن
استرشد الأمر بسعاد ، التي رافقته وهي ملثمة الوجه : ان الحسناء
بين يديه ، اكتفى بالغنيمة ، وفر بها وبالأسرى ، نحو عمان ، ،
وأشدهم فرحاً سعاد ، التي اعتقدت أن النصر لها ، لا لهم ، وأنها
ستجعل عزيز ، يسجد على أقدامها ... بعد ان تصبح الحسناء
محظية الامير فرقد ...

الثأر ولا العار

ولم يتصل بالفارس غصوب ، خير اختطاف أخته في الرضاع
حتى هاج ، هياج الجمال ، المتعطشة الى الماء . فجمع فرسان الدروز
وفي مقدمتهم الحارس ، وفزعوا جميعاً ، لنصرة الحسناء ، وهم
يرددون . الثأر الثأر ولا العار... عليهم... عليهم... ولم يصلوا الى
محل الحادثة ، حتى وجدوا بضعة قتلى ملقاة على الارض ، وبينهم
الامير فارس ، شن من ألم الطعنة . وهم لا يعلمون ، عن فعلته المشينة

شيئاً . فكلموا أحدهم ، أن يرجعه على جواده الى الأزرق ، لعمل
الاسعافات اللازمة له . ثم تابعوا مسيرهم ، وخيلهم في أثر العدو
تلتقط حشرات الموت . الى أن وصلوا الى أطراف عمان ، وهناك
اشتبك الفريقان بالقتال . . . فأخذ الحارس الميمنة ، والغصوب
الميمرة ، حيث طوقوا الأعداء بفرسانهم الأشداء ، غير مبالين
بجروحهم ، وسفك دمايتهم . . . وبعد ساعة ونصف انتهت الواقعة
عن فوز الدروز ، فوزاً باهراً . وأسر الأمير فرقد مع بضعة عشر
فارساً . والحسناء مغمى عليها بين يدي الحارس وغصوب . . . وبعد
أن استنشقت الهواء الطلق ، وشعرت بالحرية . التفتت حوالها ،
فوجدت نفسها محاطة ، بأعز الناس لديها ، فشكرت الله على
خلاصها . . . وبعد أن أمن غصوب على حياتها ، التفت الى الأمير
فرقد وقال :

- شيخ أى قبيلة أنت ، يا كلب العرب ؟

وقبل أن يجيب الأمير على كلامه ، وقفت الحسناء بين أخيها ،

وبين الأمير الشاب ، وقالت :

- أتركه لوجه الله يا أخي . . .

- أنصفح . . .

- لا يا أخي . . . فلا شك أن الله ، قد أرسله لخلاصي . . .

- كيف ذلك يا مرمز . . .

- هذه هي الحقيقة يا أبي . . . فهذا الشاب ، جاء في وقت ،

كنت في أشد الحاجة ، لمن ينقذني من . . . وكفى . . .

فالتفت الحارس لغصوب ، كأنه يريد ، من يكشف له ، سر

هذه الألفاظ . فاستنتج غصوب ، سر نكبتها ، وتقدم الى الأمير

فرقد ، وأطلق سراحه . . .

فكبرت الحسنة في قلب الأمير . . . حتى تخيلها ، أنها فوق هذا

العالم الدنيوي . . . فهتف من غير روية : حقا ان أميرة الصحراء

أميرة الحكمة . كما هي ، أميرة الجمال والكمال . . . والله لا نتقمن

لك يا أميرة ، من هذه الماكرة . . . ثم تقدم بين الجرحى ، وأخذ

جثة من بينها ، ووضعها على الجواد أمامه ، وسار به كالبرق الخاطف

وهو يقول : هكذا تكون الحسان ، والا فلا . . .

فاضطربت مرمز من اطراء الأمير ، ثم تأملت من أخذ الجثة ،

حيث تبين لها ، أن الجثة جثة امرأة . . . فتساءلت ، من هي

يا الهي ؟!!! وبعد ذلك أمرت الفرسان أن تتقدم ، لتنفرد بأخيها

ووالدها . . . ولم تتقدم الفرسان قليلا ، حتى قالت :

- أرجو من أخي غصوب ، أن لا يتركني لحظة لوحدني ...
لا بل أريد ، أن تبقى قرب فراشي ...
- لك ما تريد يا أخي ...
ومنها أصبح غصوب ، كظلها أينما انتقلت ... بعد أن
أرسل ، رسولا من قباه ، يدعو عزيز ... والامير فارس ،
يعن من طاعتين : طعنة في جنبه ... وطعنة في قلبه ...

للملكة القلوب

بعد أن ظهر عزيز قلبه ، من معشوقته الأولى . وبعد أن
ألف عصبته الانسانية . رقد مستريح الضمير ، تاركا لتلاميذه ،
تنفيذ مشروعه الانساني ، ونشره في كل واد . منصرفا بكليته
لسلطان الحب ، الذي استقر على عرش قلبه ...
وأما مرمر ، فبعد أن بدأت ، تشعر براحة الضمير ، بعد
اجهاد فكرها ، في تنوير المرأة وتهذيب الفتاة . وبعد ...
وبعد أن رقد عزيز في فراشه ، ووقدت الحسنة في فراشها . هو
في اللجاء ، وهي في الأزرق ، يتناجيان مع بعضهما بعضا . تجلت

لكل منهما شخصية الآخر . . . نجوى تجلت ، فكانت محادثات ،
وكانت مخاضات ، وكانت مساجلات . . . ثم ارتقت . فارتقت ، الى
أن أصبحت تفاهم . . . فاتحاد . نجس عزيز بوجود مرمر ، ونجس مرمر
بوجود عزيز ، وكلاهما يسعان بعضهما ، بعضاً . رغم أنف الطبيعة ،
التي فرقت ، بين أشباحهما . . . تعمق عزيز في التطور الروحاني ،
وحدقت مرمر ببعيرتها النورانية ، فاخترق أحدهما ، ضباب
الحجاب الكثيفة . وذلك الآخر ، حصون الطبيعة الجامدة . وفي
هذين التوتين العظيمتين - قوتي المحبة والارادة - اتصالاً بالمكاملة
والمشاهدة . حتى الألمس والحس ، بين قلوبهما ، المتحدتين بالحب
والاخلاص . وكلما ازداد شعورهما ، من القوى المغناطيسية ،
كلما ازداد السمع وضوحاً لهما . . . الى أن كبرت معارفهما ،
وتوسعت مداركهما . فخرجا ، من محيط العالم القديم ، الى محيط
العالم الجديد . . . وهناك . . . هناك سجدا . . . وهناك استخدمتا
الطبيعة ، ومن عليها وفيها ، لنجواها وجهبها . . .
وهناك . . . وهناك في العالم الجديد ، المجدد لتواميس الطبيعة
اكتشفا كنه الانسان وسلطانه . وهناك تحقق لهما سر الطبيعة .
وان بإمكانهما أن يكتشفا أسرارها ، وأن يسخرها ، للتفاهم بين

قلبين ، يربطهما كنه السالب وانوجب . . . واذ ذاك يشربان من
كاس . ميزاجها ، زلالا يسمى سلسبيلا . . . كما سخرت الطبيعة لتوليد
الكهرباء والتخاطب اللاسلكي ، بعد أن ارتقت المادة انيكانيكية
بارتقاء الفكر النير ، المجدد ، بالسمو والصفاء . فالفكر انطلق
يمكنه أن يوصلها لغايتها ، كما يوصل القلوب الارتبضة ، برابطة
الحب المتضامن ، مع الاخلاص والارادة . . .

ثم سمع عزيز صوتاً دانيائياً ؟ فأصغى اى دقائق قلبه ، فاذهي
مخاطبه : رن . رن . . . من يخاطبني . . . مرمر . . . حبيبي . . .
حبيبي . . . هل رأيت مارأيته ؟ . . . اسأني قلبك . . . يقول حقاً . . .
هو صادق ، صادق بحبه الخالد . . . وأنا ساذقة بحبك ، ما بقيت
الروح . . . في الحياة وبعد انوت . . . لا تالاشيه السماء ، ولا تطويه
الارض . . . خالد بمنعود الروح . . . ثم سمعا أزيزا . . . ثم عاد
الصوت بوضوح . . . لماذا انقطع الصوت . . . نذير الخائن . . .
والخائنة أيضا يا عزيز . . . صدقت . . . كل غنمين يفسده ، يقطع ويلقى
في النار . . . صدقت . . . أصبر يا عزيزي الحكيم ربك . . . سأصبر
الى ان يشاء الله . . . الى اللقاء . . . الى اللقاء . . .

ومما يؤيد ، نظرية فكرتها الجديدة ، التي تنطبق ، على العلم

والعقل . قول السيد المسيح : من جمعهما الله ، لا يفرقهما انسان .
يقصد بهذا ، رابطة الحب الطاهر . وبهذه الرابطة وحدها ،
والعروة الوثقى المقدسة ، تتفاهم القلوب ، وتتحد بالحب ، ومتى
دب الفساد بينهما ، انقطع أحدهما عن الآخر

وهنا وجب اتصافهما ، حيث لاجامع يجمعهما ، فيما بعد .
وعلى هذا ، أشار الربى الاعظم : اذا اجتمع انسان باسمي ،
فأنا أكون الثالث بينهما . . فاذا كان الكنه الاسمى ، هو
الرابط الاعظم ، بين القلبين المتحدين ، على الحب والوفاء . . . لن
توجد قوة فى الوجود ، يمكنها ، أن تفصلهما عن بعض . كما أن
الله سبحانه وتعالى : لا يمكن ، أن يجعل كنهه المقدس ، أضحوكة
حتى المهزلة ، فى وسط الخبيث والطيب . . . وكيف يستوى
الخبيث مع الطيب ؟ والسيد القائل : اذا فسد الملح فبماذا يملح ؟ . .
ثم نراه يفضب ، على المرابى المرأى ، اللذان يتاجران ، فى تصوير
الحقائق ، على غير صورتها ، ثم يقول : اذا كان النور فيكم ظلاماً ،
فالظلام كم يكون ؟ . . .

في زاوية ، من زوايا خيام الأمير فرقد ، كانت سعاد ، تناجي
نفسها بنفسها ، والسم يقطر من فيها . تمت سعاد ، أن تستولى على
قلب حبيبها عزيز ، وتعيده الى أحضانها ، ساجدا خملا ، ولكن :

ما كل ما يتمنى المرء يدركه تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن
تمنت الحب واتصال ، فنالت البغض والصد . . .
تمنت السعادة ، فنالت الشقاء . . . والشقاء متى جاوز حده ،
تضعف في مقاومته ، أقوى قوى الانسان ، الى أن يحوط
البؤس بالمرء ، فيجعل حياته في عذاب اليم . . . واضطراب دائم . . .
فسعاد التي أصبحت ، لا تستطيع ، أن تعيش بلا شيء ،
ينحدر أعصابها ، فقد حرمتها الطبيعة ، كل شيء . بعد أن تمرغت
في الشهوة حتى الثمالة . . .

شعرت سعاد ، بأنها حرمت من كل شيء ، فأرادت ، أن
تستعوض عن كل شيء بشيء . . . وأين لها هذا الشيء . . . الى
أن لسعتها الغيرة ، فأصبح عزيز ، هو كل شيء . فلا يمكنها أن

تستعيض منه ، بعد تلك المليئة الدهماء ، التي عرفت فيها ، ان حبيبها انجذب الى طيار مغناطيسي ... الى ناحية حسناء غيرها...
وأشد صاعقة ، تنزل على قلب المرأة . صاعقة الغيرة ، التي تحول بينها ، وبين حبيبها . حبيبها الذي ينتقل ، الى حسناء ، أجمل منها ...

فالقلب الذي يحب لا يبغض . والقلب ، الذي تكون شريعته الحب ، فلا خوف منه أو عليه ... نعم هذا ما يجب أن يكون ...
ولكن قد سبق السيف العزل ... فسعاد التي أحبت الشهوة ، حتى العبادة فقد أقصتها الشهوة بعيداً ، حتى جعلتها تتذلل لحبيبها بعد أن تذلل حبيبها ، شهوراً على أقدامها ... يقولون : من جمعه الله لا يفرقه انسان ... ولكن الله كان بعيداً ، وبعيداً جداً عن اجتماع سعاد بعزير ... وأما الذي جمعهما ، هو الشيطان ، وهو الذي فرقهما ، بعد الوصول بهما ، الى غايتيهما ...

انتهت الغاية ، فانتهى كل شيء ... هكذا كان غرامي ، وهكذا كان مسرح حبي ... رؤيا لذيذة ، يتلذذ بها المرء ساعة ، وهو في نشوة الطرب . ومتى انتهت الساعة الاولى ، تجددت

الآخرى .. الى أن تأتي ، الساعة الرهيبة .. ساعة الفراق
الابدى ...

كانت غايتي ، ارضاء نفسي . فمن أرضى الفرائز الجنسية في
حبه ، زال حالاً بزوال الغاية ... نعم هذه كانت غايتي الاولى ...
وهذه كانت مشتباتي . أما الآن ، فغايتي ، ان يكون عزيز
سعيداً ... وأمام هذه السعادة ، تضحية ... حقاً ما يقال : مصائب
قوم عند قوم فوائده ؟ . استفيدني يا مرمز ، يا قاتلة قلبي . من حب
عزيز ... وأما أنا فأسأستفيد بموتني ... نعم يجب أن أموت ...
ما هذه الافكار المتضاربة ؟ كيف أضحي بقلبي ليعيش غيري ...
وأني تضحية ؟ ... التضحية الحقة ، أن يضحيها الانسان مختاراً ،
لامر غماً عليها ... أردت الانتقام منهما ... وحفرت الحفر لسقوطهما
بها .. ونصبت المكائد لهما ... حتى قصدت موتهما ... ولكن ...
كل ما أردته وما قصدته ، وما اخترته رجعت علي : الى أن سقطت ؟ وكان
سقوطي عظيماً .. سقوط اصطدمت فيه بعنابي ... بقلبي ... بالاممي ...
وأخيراً .. وأخيراً .. وقعت بين يدي جبار لا يرحم .. ولم يرحم
صباي ... بل رماني بسهم ، كان علي ، أشد ويلاً من الموت ...
سهم جعلني مقعدة ... سهم حرمني لذة الحياة ، لذة الانتقام ،

لذتي البغض والحب . . . وقد شعرت بأبواب جهنم ، تفتتح أمامي
حتى ان شيطان الشهوة يناديني : آتني ما وعدتني ، فقد كثرت
سلاسل وأغلال ، سعيري وحميمي ، عذابي وحرري ، وقد بعد
قوري . . . فأجبت ، أو اعتقدت أنني أجبته : أين لي وأنا مقعدة؟
أف منك يا شيطان الشهوة ، فقد رميتني بسهامك ، وكسرتني
بنعالك وجعلتني ، عديمة القيمة ، في نظر من أحبه . عديمة الاعتبار ،
في نظر صعاليك العالم . . . فهذا هو الانتقام الحقيقي . . . وهذا
جزاء ، من يسعى الى الشر . . .

ثم عاد اليها شيء ، من الأمل . . . آمال وآلام ، حلت في
أعصابها ، فخدرتها ، تخديراً مريعاً ، الى ان ابتهجت نفسها
فصاحت :

قريباً اشاهد عزيز ، يضاجع حبيبته مرمر . . . فأحظى بلذة
جسدية . . . تعيد لقلبي ، فرحه وسروره ، بعد انقباضه . . . هذه
هي الوسيلة الوحيدة ، لاشباع غليل نفسي . . . وهي اعظم مرطب
لشهوتي الجانحة ، التي تدب في عروقي . . . نعم ، هذا هو الرجاء الوحيد ،
للشفاء من مرضي . . . أو أموت ، فداء عن عزيز حبيبي . . .
أمنية . . . كيف أحققها وأنا مقعدة ؟ . . . هل اذا رحمني عزيز ،

ونفذ أمنيته . . . هل تحققها ، مرمر ؟ . . . أمنية . . . نعم ،
يجب أن أنتقم أولاً ، من الذي شوه حياتي . . . كيف أنتقم من
الامير فرقد ، وأنا عاجزة . . . عاجزة وأسيرة . . . يالها من
نوعة . . . لاشك ، ان الشيطان ، سيساعدني عليك ، يا وحش
العرب . . . عزيز خلصني من أسر هذا البدوي . . . اشفق علي
يا عزيز . وارحمي . . .

وهنا بكت ، بكاء مرأ . . . وهذه هي الساعة الأولى ، التي
تبكي فيها سعاد ، عزها الراقد ، وجمالها الهاوي . . .

وتبعناه تاريخ حياتنا :

في ساعة متأخرة من الليل ، وصل رسول الحسنة ، الى خيام
عزيز ، الذي أصبح ، كرئيس عشيرة ، مقرها وادي اللواء ، بين
الصورة الصغرة والكبرى . فستقبله الفارس الاسود ، الذي
لا ينام الليل على الاطلاق . كل هذا خدمة لسيدته ، وارضاء لضميره ،
الذي لبس حلة من الاخلاص الاكيد . فضلا عن خدمته للعشيرة
التي أصبحت تحترمه ، كما تحترم سيده . لماذا ؟ لأنه لا يكذب ،

ولا يفكر بخيانة أحدكم ، ولو حرق لحمه ، أوقفع اربا اربا ...
وبعد أن عرف الفارس ، شخصية الرسول ، أدخله على سيده
الذي كان يحلم في السعادة ، ولا يراها . تاركا لتقضاء والقدر ،
حكاه الأخير ...

جلس عزيزي في فراشه ، واستقبل الرسول بوجه بشوش ،
وقلبه يطفح سروراً — والقلوب شواهد؟! فناوله الرسول رسالة ،
عرف من خطها ، بأنها مرسلة ، من مالكة قلبه مرمر . ففضها
وطالعتها ، وهذا ما فيها ، من الحكم البالغة :

عزيزي عزيز

سلام .. شوق .. انشاء الله لقاء ... تخبرنا لاسلكيا ...
والآن أخبرك خطياً . لتكون التاريخ ، عبرة وذكري ... كما يكون
ردك ، هو المنتظر المفيد ... استعويض به عن المثل العصامت ??? ...
الذي كان المثل الاعلى ...

قريباً ، تظهر نتيجة الجاهلي ، وعلمي الجهادي ، في المؤتمر
النسائي ... فاذا لم تزهرا أغصانه ، في القرن التاسع عشر . فستزهرا
وتأتي ثماره ، عظيمة خالدة ، في القرن العشرين ... الذي سيكون ،
فجر خير وسعادة : ... فالامم التي لا تكرم أحيائها ، قبل أمواتها

فلا حياة لها . ولكن ما على اثره الا أن يعمل ، وعلى الله تتميم
تقصده . . . لانبي في وطنه هذا حتى . . . والطبيعة قد نطقت
بذلك أيضاً . . . فالشرق أثار الغرب . . . والغرب استمد ، من
نور الشرق . . . والشرق يتخبط في الظلام . . . الى أن اتخذ الغرب
مرآة المادة الصافية . فانعكست أنوارها ، حتى جعلت الشرق ،
يستدير من ضوء زئبقها . . . فكان الأحرى بالشرق ، أن يستمد من
أنواره الطبيعية الصافية ، كما يستخلص الغرب ، مايجود به الشرق
من نور وصفاء وحياة . . . ظهرت مرآة الغرب ، بعد أن قدس
الغرب ، أنبيائه الأحياء . . . فأحيت فيهم ، صفاء أعمالهم ، فزاد
مجهودهم . وأما الشرق ، فقد قدس أنبيائه الأموات ، بعد أن
اضطهدوا ، ورجموا ، وقتلوا ، وهم احياء . . . الى ان جاء
السلف ، وتاجر بأنوار الخلف . . . فاحتفظ بالجواهر للخاصة ، واباح
العرض للعامة . كما استأثر الفرد باللباب ، وجعل القمشور تباع
وتشترى ، بالشبر والدينار . حتى وصل ، شبر الارض في الجنة ؟
الى عشرات الملايين ، من الدنانير ، على طول الزمان . . . وبهذه
الفوضى ، اختلفت الطرق ، وكثرت المنعرجات ، وتفشت المحرمات ،
حتى اصبحت شعب متشعبة ، ومذاهب متعددة . فضلوا

واضلوا ... فمنهم ، من جابوا شوارع المدن ، حفاة عراة ...
ومنهم ، من اجتازوا الصحارى على ظهور الجمال ، بالسبحة
والمزمار ... ومنهم ، من قطعوا البحار ، في سفن ، تدفعها
الرياح ، بحسب أهوائها ... لماذا كل هذا؟ لأن أصحاب الأفكار
الاصلاحية، الاجتماعية، الدينية. ما وافي ميدان الجهاد، قبل أن يحتاطوا
لأنفسهم من عبث، العابثين. الذين جهلوا أو تجاهلوا ، معرفة الحكمة
وفيضان نور المؤسسين . وانهم فوق كل انانية بشرية. ولهذا شرح
الشراح ، فصولا طوالا ، ذوقوها بالفاظ خلافة ، حتى شوهاوا
محاسنها . وفسر المفسرون ، كل بحسب اهوائه وتجارته . وصور
المصورون ، الابيض اسودا ، والاسود ابيضا . والجن انسيا
والانس جنيا . والقرود انسانا والانسان قردا . والاصنام آلهة ،
والآلهة اصناما . والمرأة حية والحية مرأة . والمرأة صفاة ، والصفاة مرأة
والمال غاية ، والغاية مالا . والروح مادة ، والمادة روحا . والنور ناراً ،
والنار نورا ... والاناني قد أوصد الباب ، في وجه كل مجاهد ،
مصلح ... متغافلين عن الحق القائل : ولكل مجتهد نصيب ... فلا يجب
ان ننكر عليهم فضلهم ، ولو كان شرا ... وإنما الذي ، يجب أن
ننكره . هي انانية بعضهم ، ولو كانت خيراً ... وخيراً عظيماً ،

لمن يفتح الباب على مصراعيه . ليشهد كل امرء ، الفيوضات
الالهية ، ويتمتع بضياء تلك الانوار ، انوار الحكمة والمعرفة ...
عزيزي عزيز

انا اريد ، أن اسير معك جنبا الى جنب ، في البر والبحر
والهواء . لافرق بين مسؤوليتي ومسؤوليتك ، بين واجبي وواجبك
بين قلبي وقلبك ، بين حياتي وحياتك . انا الرفيقة ، وانت الرفيق .
وكلانا ، يسير في الحياة ، على قاعدة - الرجل رب والمرأة قلب -
فاذا كان الرب فرحا ، كان القلب مسرورا . واعلم أن قوة الدماغ ،
ميزان الرأس . فاذا قوي الرأس ، قوي القلب .. وان ضل الرأس ،
ضاع استقلال العائلة ... وان فسد القلب فسد النسل ... وهنا
قل : على المحبة والحرية والهناء والسعادة ، الف سلام ...

فالاثنان مرتبطان في هيكل واحد . لا يمكن فصل احدهما عن
الآخر — والويل للخائن . فخير ، ان يفصل العضو الضال ، ويقطع
والفاسد ، يطرد خارجا ... من أن يقال : الالباء يأكلون الحصرم ،
والابناء يضرسون ...

عزيزي عزيز
انا لا أخاف أحداً في الوجود ، الا ضميري فقط . . . وهو

وحده ، دليبي في حياتي ... لهذا ، سوف لا اخرج من محيط هذا
الجبل ... الذي هو مستقط رأسي ... الا وانا مرفوعة الرأس ...
ليس أمام العالم ... بل امام ضميري ، ووالدي ، وحببي ... لم تأتي
الساعة بعد يا عزيز ... اصبر ومت شجاعاً ... اذا كان لا بد من
الموت ... خير لك ، من أن تيأس ، وتموت جباناً ... والخلاصة :
كن عصامياً ، ولا تكن عظامياً ...

عزيز ، اذا شئت أن تكون عصامياً ، لا عظامياً . لا تشرك بي
احداً ، كما انا لا أشرك بك أحداً . احضر ... وحضورك يكون
الى الازرق ... ليكون المؤتمر النسائي ، الذي سيعقد قريباً ،
تحت رعاية عصبتك الانسانية ... اطلبك ، وانا واثقة من ضميري ،
ومن والدي ، ومن اخي . عسى أن تكون لي ربا ، وانا اكون
لك قلباً ... ان لم يكن في الصحراء ... فسيكون بأذن الله ، في
ما وراء البحار ... والسلام ...

المخلصة : مرمر ...

طالعها مثنى ... ثلاث ... رابع ... ثم أخذ قلمها وكتبت لها :

عزيزتي مرمر

وثيقة غالية ، وحكمة بالغة ، وعبقرية حرة ، صريحة . هي

جوهرة ، وجوهرة مثلثة الاقانيم . يجمعها انسان كامل ، كامل
رأسه وقلبه ... عملت ، وعملت مايجب على الرأس ، ان يعمل في
المجتمع الانساني ، من خير وسلام ... كل هذا ، تكثيراً عما
أنته النفس الامارة ، في أول شبابها . وهذا الفضل ، راجع
لقلب ، الذي أنارني بمشورته ، انارني بطهارته ، انارني باخلاصه
انارني بحبه

عزيزتي مرمر

شظايا من اعتراف عظيم ، التقيا في طرق هذه الحياة ، عسى
أن تكون عبرة وذكري ، لقوم يعتقدون ...
حرب سجال ، كانت حياتي الأولى . حرب كانت ، بين الحرية
والعبودية ، بين الشجاعة والحماسة ، بين التضحية والرفيعة ، بين
النور والنار ، بين الحياة والموت الابدي ... الى أن ظهر نجم
الحسنة ، فاضاء بصيرتي ، وقادني الى حكمة الأمام علي : ليس
الشجاع من غلب الناس ، وانما الشجاع من غلب نفسه ...
ففي هذه الحكمة اغتسلت . وفي ضوء النجم ، طهرت جسدي
الترابي ، من جرثومة الفساد . لأجعله بلا عيب ، هيكل جثماني ،
يجوده قلب ، يقوده بالحكمة والارشاد ، الى رب الارباب ...

عزيزتي مرمر

أنا واثق من عفوك ، من ارادتك ، من قلبك ، من حكمتك ،
التي ترشدني ، الى ماهو فوق كل واجب ... ومع كل هذا الوثوق ،
يجب أن أثق من نفسي أولاً ... كيف أثق منها ؟ اثق منها بعد
اختبارها ... تركتها عطشى ... تركتها قاحلة ... تركتها
ذليلة ... تركتها مهانة ... تركتها غصبي ... تركتها طموحة
وتركتها أمام السنة النار ... فكانت كما أردتها ، نور على نور ...
لهذا ، شئت أن أحضر الى الازرق ، لأشاهد أعمالك الجليلة ،
ولأقول لك : لا أشرك بك أحداً ...

فمن كانت رابطة الحب ، لا تفرقه شريعة ... والسلام ، على
من اتبع الهدى ، فاهتدى ، بنور الحب والاخلاص ...
المخلص : عزيز

المؤتمر النسائي :

بعد جهاد مستمر ، تمكنت الحسنة ، من عقد مؤتمر نسائي ،
يضم بين أعضائه ، نخبة من عائلات العرب وكريماتها ، لا فرق بين
جنس قوم ، ودين آخرين ...

ومن مميزات هذا المؤتمر ، انعقاده في الصحراء ، في زمن
عصيب ، زمن الحروب والثورات . هذا فضلا عن معاكسة الامير
فارس ، الذي سعى جهداً استطاع ، لمنع هذا الاجتماع ، فلم يفلح .
فشل كما فشل في اختطافه . وهو يقضى بعد أن شفي من جرحه ،
أن تضع الحرب أوزارها ، ينوز الشيخ خليل بامارة الجبل . كما
ينوز هو بزواج الحسناء ... ولم يصب عزيز الى الازرق . حتى
دب في صدر الامير ، روح الحسد والانتقام . ولكن أين له ذلك ،
وعزيز ، أمنع من عقاب الجو ، بعد أن أصبح الامير حارس
يشد أزره ، والتمارس غصوب ، يخدم ما ربه ، وعصبة الانسانية
تحمي ظهره ... فرضي الامير ، في هذا الاجتماع مكرها ... وأما
عزيز ، فقد نصب خيامه قرب القصر ، ليكون على استعداد تام
لكل طارئ ، بعد أن علم بفعلة الامير الشائنة ...

وفي صباح ٢ آذار (مارس) سنة ١٨٣٧ بدأ المؤتمر اجتماعه :

في اليوم الاول { تبادل فيه التعارف ، بين غايات الدروز وغايات
العرب ...

في اليوم الثاني { خطاب للانسنة زورد الحريري ، موضوعه :
فتاة حوران في الحقل ...

خطاب للآنسة حياة سركيس ، موضوعه :
عامات فلسطين في لندن ...

خطاب لسيدة هدى البكري ، موضوعه :
سيدات دمشق والحجاب ...

خطاب للسيدة أم محمود الغنم ، موضوعه :
زيينات العرب والسفور ...

خطاب للسيدة عنمت الحمدان ، موضوعه :
المرأة الدرزية في السلم والحرب ...

خطاب للأميرة نجوى شهاب ، موضوعه :
المرأة اللبنانية والمهاجرة ...

مخاضرة للآنسة مريم الحمدان ، رئيسة المؤتمر
وموضوعها : حقوق المرأة الشرقية وواجباتها

وتحريرها من الرق والعبودية ...

كلمة شكر للآنسة ليلى أطرش كاتبة المؤتمر
حفلة وداع — نشيد النهضة النسائية ...

في اليوم الثاني

في اليوم الثالث

في اليوم الرابع

في اليوم الخامس

قطاب عصمت :

صعدت عصمت على المنبر ، ساغرة الوجه . . . فأسفرت طلعتها ، عن
تفركاً أنه الدر ، ينطق بكلمة الحكمة . وعن وجه جعدته حوادث
الدهر ، حتى أصبح هلالاً ساعة مغيبه . نسيجه لألاً ، مما يزيد
في هيبتها ، بهاء وجمالاً وجلالاً . . .

وفي نهاية الحكمة ، يتحول الهلال ، هلال الشيخ ، الى
ما وراء شفق الطبيعة ، ليجدد نسيجه - لحته المهد ، وسداد المجد
ونقشته ذرات الحياة . ومن هذا الكمال ، يظهر الهلال ، هلال
الفتى الاكمل - طلعتة ليلة البدر ، صفى جوها . . . فاشرقت أنوارها . . .
كبراتي صغيراتي

خير الكلام ، ما قل ودل . من منكن لا تعلم ، كم قاسيت من
الاهوال . وكم ضحيت ، وضحيت ، حتى أصبحت لا أبالي ، ان
عشت أو مت . . . فكل من يفسر آرائي الحرة ، التي تلقيتها من
صغيرتي ، ورئيستي مرمر ، على غير وجهتها ، يكون جاهلاً . . .
لا يستحق مني ، الا طعنة خنجر . . . (هتاف)
ولا اغالي ، اذا أدليت بأرائي الثائرة . . . آرائي التي اختبرتها

طول حياتي — وأناقد جاوزت الستين — التي سيكون لها صدى ، في
في العالم الاجتماعي ... صامى ، يردده الرفيق والرفيقة ، الزوج
والزوجة ... ليعرفوا كيف تكون العلاقات الجنسية ... وكيف
تسوي النساء ، علمها وأوجاعها ، على كثرتها ... وكيف يندلج الراحة
والطمأنينة ، من رجالهن ...

فالعلاج الأول ، لهذه الأمراض ، لا يمكن أن تقوم به ، إلا
المرأة ، التي تتصف بالشرف وكرمان السر ، مع طول اناة ... ومتى
اتصفت بها ، قبضت على ناحية زواجها ، واستالت إليها زوجها ،
وما كان فساد الأخلاق ، وحشر الطباع ...

وبهذا العلاج ، يمكن أيضاً ، أن تمارس الفضيلة والطهارة ،
ممارسة حياة ، في حالتها الصحية والغرامية ... (ضحك) والفضيلة
غريزة طبيعية في المرأة ، فلا يجب أن تفسدها فتفقدتها . وبها وحدها
تحفظ المرأة صحتها وحبها ... وبالطهارة ، تعرف المرأة كيف تتناول
الشؤون الجنسية الدقيقة ... والطيور على أشكلها يا عزيزاتي ...
فيجب على الفتاة ، أن تختار ، ما يوافق ذوقها وشكلها ؟! لا أن
تكون فريسة الاهواء ، تسقط ، تحت اظافر ، نسر مفترس ...
فإلى هذا المبدأ التكويني ، ألفت أنظاركن ، لتطفئن به ، لهب

قلوبكن النارية ...

عزيزاتي حبيباتي

من العلوم ، ان نهضتنا ، ليست نهضة بزويق كلام ، بل نهضة
عمل وجد ... لهذا اضلّب منكن ، ان تدفن الخرافات ، في مكان ، لا
يعرفه الانس ، ولا يراه الجن ؟ !!

نحن في زمان ، فشت فيه الاوهام ، حتى خيلت لنا ، البصار ،
والشعبد ، والكذاب ، أولياء الارض ، وقديديها ، وماهم بالحقيقة
- والحقيقة جارحة - الادلجين منافقين ...

ومن خرافاتنا ، تكحيل مقل الاولاد ، قبل ان تكحل الحية ،
عيون اولادها ، في يوم ثلاثة المذرة ، وأربعة البراقطة ، وخميس
البيضات ! ؟ واشرق قميص العروسة ، في صباح ليلة زواجها ! على
حائط الشارع . ليتمتع الغريب والقريب ، الشيوخ والارامل بمنظر الدماء
والعسل ??? . والويل لمن لا تجرح جسمها ، لتبيض وجهها ، بقطرات من
الدماء ، أو من دماء الأراب ??? الى غير ذلك من الخرافات المقوتة !!!
اهذا هو الرقي ؟ ومدارسنا وبيوتنا ، جوامع تلجهل ، وخلوات
للظلم ، وكنائس التفريق ??? . وكبارنا ، لا هم لهم ، الا تضليل
الشعب ، وابتزاز أمواله . كالبطيخة ، يأكلون لها ، ويرمون قشرها ،

لحريمهم ... ونعاجهم ..

انظرن الي الرجل ، كيف يعامل الفتاة كسلعة ، ويستخدمها
كسببية ، ويتاجر بها كرقيقة... كما يعامل زوجه كخادمة، ويجعلها
وثنية ، تسجد لعجايبه الذهبي؟!!!! وتخضع لارادته الوحشية. معاملة ،
ولامعاملة الحيوانات . البقرة في نظره، أفضل من الزوجة الأمانة
الراقية ؟ — والامة نسيج الامهات ، فتأملن ؟!!! !

انظرن الي قحة الرجل ، الذي لفق ، مثله السائر ، بين الرجال :
— سداد الرعونة ولحمته الخيانة — القتل ديباج النساء ... مع ان
القتل ، لا يليق الا بالحيوانات المنترسة . . . أنا قتلت يا عزيزاتي ؟
ولكن قتلت دفاعا عن العرض . . . قتلت قتلا من تعمد القتل ؟
(ضجة) لا تستغربن .. قتلت الحريري ، لانه أراد قتل الحسناء ...
(أصوات : عاشت عصمت وعاشت الرئيسة) وهي لا تعلم ، من
خلعها من زوجي ، الى الان . . . (أصوات عاشت الشهامة)
وزوجي ، لا يدري وللأسف ، انه كان آلة ، تحركها أهواء الامير
فارس ... (اصوات : فليسقط الخائن) ولاجل ذلك ، قد كرست
نفسي ، لخدمة فتاتي مرمر ... (هتاف متواصل بحياة الحسناء)

عزيزاتي

عود والعود أحمد ... انظرن الى الرجل ، كيف احتقر امرأته ؛
واجبرها على السفر ، وهي حاملة ، في شهرها التاسع (اصوات :
وحشية والله) تتعذب ، وهي ماشية على الاقدام ، وهو يمتطي صهوة
جواده . لماذا ؟ لأنها محرومة ، من ركوب الخيل . وكيف تركبها ،
وهي تسب الموت والنحس ، لتفرص الاصيل ، فياهول الخرافة ؟ !!!
انظرن ، كيف ينظر الرجل الى نفسه ... ويعتبر ان عيبه ، على
زر مداسه . (ضحك) والبرأة ، لا يحل لها ، ان تظهر ، على مسرح
دجاجه ... (ضحك) فالى متى تسري علينا ، هذه الخدع الفاسدة ؟
انظرن الى الرجل ، واسمعن قوله ، في زوجه ، : (ما تعبش في
دق ريجانها) كأنها لا شيء في نظره . فبحقك . كيف تعاشر
المرأة ، رجل هذه صفاته ... لا هو يحترمها ، ولا هي تحبه ... وما
هو معنى الزواج ، بلا محبة حقيقية ؟ أهو عتالة ، أم رهينة ؟ !!!
انظرن الى الرجل ، كيف يشور على السافرات ، ولو كن ،
محجبات بحجاب القضية . وما المراد بالحجاب ، يا عزيزاتي ؟ اليس
المطلوب ، هو سترة الشيء المغيب ، كالعورات ... وما شا كل ذلك .
فإذا كان الحجاب ، يدخلهن الجنة مع رجالهن ، وهن على هذد

الصفات ، الشيطانية . فالملائكة ، وحماة العرش ، لا يسمحون لمن ،
يدخل الجنة ، المعدة للمؤمنات ، الطاهرات ، العاملات ، العابدات ،
لمجرد أنهن منقبات ، غير مسفرات ...

انظرن الى الرجل ، كيف يحلل الحرام ، ويحرم الحلال . وهو
في سكره يعربد ، وفي وهمه وجبروته ، يهرف بما لا يعرف . فعليناً ،
ان نقاطع الرجل الدموي ، الرجل الوحشي ، الرجل الذي لا يحترم
قلب المرأة ، الذي يكون عالة مشوهة ، على عرضه ونسله .. هذا
قليل من كثير ، يا عزيزاتي ... وفي غير هذه الثورة الفكرية ، لا
نصل الى سلام عائلي ، موطن الاركان ... أساسه السعادة والحرية
والحب ... (تصفيق حاد)

في سبيل النسل الصالح :

ولم تنتهي عصمت من خطابها ، حتى صفقت لها الاعضاء كثيراً ،
وهتفت بحياتها ... الى ان ابيحت الكلمة : فوقت السيدة أم حسين
درويش ، وقالت :

بما أن المحافظة ، على النسل الانساني ، من اختصاص هذا
النوع ، فبصفتي عضوة فيه ، ومولدة بوقت واحد . لذلك ادلي

بفكرتي ، عمى أن تنال استحسانا ، من زميلاتي الاعضاء . وتجد
رواجا بين الزوجات الفاضلات ، اللواتي يرغبن في انشاء نسل
صالح ، جديد ، في العالم الاجتماعي المجدد ... وهذه هي فكرتي :
ان مضاجعة الحبلى ، امر غير مرغوب فيه ، عند اصحاب
الذوق السليم . وقد تحققت من أن الفساد ، دب ديبه ، في الجنين
من وجوه شتى ... واهمها ناشئة من كثرة الاثقال ، والاجهاد
أو التدفق ، أو العراك ، أو المغازلة الحماسية النارية . التي تأتيتها
المرأة ، وبأتيها الرجل ، في ساعة حظهما؟! ... وكيف تتقي الحبلى
نفسها ، وهي غائبة؟! .. فزوجها لا يرغب منها ، الا الوصول الى
مراده ... ومن هذا المراد الجنوني ؟ يولد الطفل مشوه معتوه ،
ضعيف الجسم ... فاقد احدى حواسه الخمس ... فضلا عن
الامراض التي تلازمه ، حتى يبلغ من العمر ثلاث سنوات ، على
الاقل ... هذا اذا لم يسقط الجنين ... وكل هذا ، اذا اتاها رجلها
وهو في حالته الجنونية ، مستسما الى العاطفة فقط ؟ تاركا عقله
بعيدا . اما اذا اتاها رجلا ؟ غير التي حملت منه ... فهناك البلاء
الاكيد . وشاهدي على ذلك ، أن الفرس الاصيل ، حينما تشعر ،
بأن الجواد اتاها ، وعشرت منه . فلا تعود ثانية ، أو تسمح له

مرة أخرى ، حتى تلد . مهما وضعوا في رجليها ويديها من السلاسل .
لهذا نرى بعض الحيوانات وافضلها الخيل الاصيل ، محتفظة
بنسلها - النسل الجديد على مر الزمان ، لا يشوبه فساد ...
وعليه ، اطلب من المؤتمر ، أن ينشر الدعاية ، بين العائلات
حتى تحتفظ المرأة بنسلها ، وتبتعد عن زوجها ؟ ان لم يكن كلياً ،
فتخفيناً ؟ لأن عليها وحدها ، يتوقف نجاح هذا الامر الحيوي ...
فبيدها ، لا بيد الرجل فساد النسل ، أو اصلاحه ؟!!؟
الرئيسة - هل يوافق المؤتمر ، على فكرة السيدة ، أم حسين
وتعميمها ، بين العائلات ؟

الجميع - نقرر تسجيلها وتعميمها ...
الرئيسة - فلنسجل هذه الفكرة ، في سجل المؤتمر ، وتنشر
بين الافراد والجماعات . وبالوقت نفسه ، فالمؤتمر يشكرها كثيراً
على هذه الفكرة ، الاصلاحية الحيوية ...

محاضرة الأستاذ

الفكر يكون الحقيقة ، والحقيقة بنت البحث . فاما أن
تكون معروضاتها ، مستخرجة من وراء الكائنات . وأما أن

تكون مأخوذة ، من مشاهد الطبيعة . فالأولى روحية ، والثانية
مادية - وكلاهما ، في نظر الانسان ، اجاث وأعجاب ...

هذا هو الطابع الاجتماعي ، المجدد لسكل طور ، من اطوار
الحياة . فمن هذا الفكر ، استمدت الوحي والاطعام . ومن هذه
الحقيقة - والحقيقة جارحة كما اشارة ، أم المؤتمر عصمت
استمطرت الندى ، لتكون قطرات حياة ، للمرأة الشرقية ...

سيداتي آتسائي

عمن الطفل ، كيف ينظر الى الوردية ، دون أن يذرعها .
حتى اذا شب ، يعرف كيف ينظر الى الحسناء ، دون أن يشتهي ،
امتلاكها ، أو يلمس جسمها ...

عمن الطفل ، كيف يغازل الطفلة ، ويحبها الحب الملائكي .
حتى اذا شب ، لا ينزل بحبه ، منزلة الحب الشهواني ، منزلة
الشیطان البهيمي ؟!!!! ...

عمن الطفل ، مباديء الحرية والاستقلال الفكري . حتى
اذا شب ، يكون اداة صالحة للعمل ، والاعتماد على النفس ...
عمن الطفل ، محبة الله الشاملة . حتى اذا شب ، اشرح له
هذه المحبة ، وقلن له : ان الانسانية شجرة . اديانها فروع ،

ومذاهبها اغصان. وارسخن في عقلاه ، ان من حق الأم ، ام المجتمع ،
ان تجمع الائمة بين الاجزاء وتوحيدها ، وتضيئها بالنور الالهي ،
وتغسلها بالدم الانساني — لافرق ، بين جنس قوم ، ودين آخرين ...
عامن الطفل ، أنه رأس المجتمع الانساني ، والطفلة قلبه .
حتى اذا شب ، احب القلب واحترمه ، واحتفظ به كاملا ...
عامن الطفل ، فضائل الاديان كلها . حتى اذا شب ، كانت
له عقدا ، وكان لها رسولا ...

سيداتي سادتي

عامن الطفلة ، انها زهرة ، وان الزهرة تثمر . حتى اذا شبت
تعرف كيف تسقي حقلها ، ليأتيها في اوان قطوفها ، بشمار
فاضحة ...

عامن الطفلة ، انها تشبه امها ، والطفل يشبه ابيه ، في ملامح
الوجه ، وتقاطيع الجسم ، وحسن الخلق والخلق ، بقوة الوراثة
الصالحة . حتى اذا شبت الفتاة ، احتفظت بمأثورها ، ونهجت
على صورة امها ، وكاملها ...

عامن الطفلة ، انها وليدة التطور ، وليدة الحب . حتى اذا
شبت ، عرفت كيف تتطور ، وكيف تحترم حبها ...

علمن الطفلة ، انها ربيبة السرير والتهديب ، ربيبة الانسان
الكامل . حتى اذا شبت ، عرفت كيف تهذب النشيء ، وكيف
تكون أم المجتمع ، جليلة مكرمة ...

علمن الطفلة ، كيف تأكل اب الشعر ، ورمي قشره . حتى
اذا شبت ، عرفت كيف تميز ، بين الغث والسمين ، بين العرض
والجوهر ، بين الاناء والماء ، بين المظهر والباطن ، بين العقل
والعاطفة ... والعقل لا يميز الا بالمعرفة ، والمعرفة لا تختار ،
الا الحبيب المختار ...

سيداتي العزيزات

ذودن الفتاة ، بثورة أدبية ، لتحطم بها ، قيود الخرافات ،
ولهدم بشعلتها اركان العبودية . فتشيد على انقاضهما ، قصور الحرية ،
ولتقيم دعائمها على اسس المدنية الصحيحة . حتى تنال حقها في الحياة .
كما تعيد لسكن ، حقن المغتصب ، في الهيئة الاجتماعية ...

ذودن الفتاة ، عاما اخلاقيا ، لتتكشف امامها الحقائق ، وتميزها
عن الخرافات ، التي فرقت بين الانسان ، وأخيه الانسان . والتي
ولدت ، سوء الظن والشك ، في اخلاص المرأة ومسراها -- فويل
لها ان عبست ، وويل لها ان ابتست ...

ذودن الفتاة ، بقوتي التصور والادراك ، واعملان جميعاً ، على
بث روح الفضيلة فيها . ثم أكتشف لها ، الاسرار الجنسية ، حتى
متى عرفت ... تخجل من نفسها ، وتحتاط من الوقوع ، في فخاخ
الشبان ، وتبعد الذين لا يراعون لها حرمة ... ولا يحفظون لها وداً ...

عزيزاتي الغقيات

المرأة تسعى ، لثورة التحرر ، لثورة اصلاح النسل ، اصلاحاً ،
يفيد ارباب الذوق اللطيف . واثق ، فكن تلميذات هن ، عاملات
في هذا المجتمع ، لأن عليكن ، يتوقف مدار العمران . على ان لا
تجلسن ، في مجالس المستهزئين ، والمستهزئات . ولا تجلسن السوء ،
وجايسته ، تنظرن اليهما . بل جاهدن ، لتحصل الفتاة منكن ، على
قصة من حياتها العملية ، تستفيد منها ذكرى ، ويستفيد
غيرها عبرة ...

احبين ... احبين ما شاءت ارادتكن . على ان يكون حبكن ،
لمن يصلح نفسكن ، ونسلكن . احبين من يحترم فيكن قلبكن ،
ولا يجعلكن ، اضحوكة العصور المقبلة ...

احبين ... على ان تحبين الفتى ، الذي لا يتطلع لغيركن ...
احبين الدماغ المفكر ، والرأس المدبر ، واليد العاملة ...

أحيان في الشبان ، الحكمة البالغة ، والكمال الاكمل ، والعمل
المثمر ، والعظمة الخالدة ... ولا تنظرن للمظهر الخارجي ، فالمظهر
الخارجي مزيف ...
سيداتي أنساني

ثلاثة لا رابع لهم ، يتنازعون البقاء : فالأول الانسان القديم
والثاني الانسان القريب . والثالث الانسان المجدد . وهذا المؤتمر
يريد أن يخلق لهم رابع . وهو الانسان الحكيم ...
فالقديم الجامد ، جامد في مكانه ، لا يسمح لغيره في الجلوس
على عرش سلطانه . وهذا ، هو الحكم الاستثنائي ... ومن والاه
من الامم ، فتسمى أمم رجمية ...

والقريب المتحرك ، يريد أن يحافظ على تقاليد القديم ، وينفض
الغبار عنها ، ليظهرها بمظهر الجديد . مستأثراً ، بالأناية والسلطان
المعطى له ... ومن والاه من الامم ، فتسمى أمم مقتسبة ...
والمجدد الجريح ، يريد أن يهدم سلطان القديم ، وأناية القريب
باشعال النار ، في الاخضر واليابس ، ولا يحسب للجوهر حساباً ،
ولا للعرض افادة . حتى ينال شهرة دموية ، وانه مجدد هدام ...
ومن والاه من الامم ، فتسمى أمم هدامة ...

وأما الأمم الجاهلة ، المتأخرة ، التي تهرف بما لا تعرف . لا شأن لنا بها ، لأنها أمم متذبذبة ، متفرقة ، مندسة بين الأمم ... حتى انه ، لا تخلو أمة منها ، مهما كانت عريقة ، راقية ...

فالأول ، لا يقبل أي تطور ، وهو على خطأ . والثاني لا يمكنه التوفيق ، بين القديم والجديد المجدد ، ما زال جواد الأول جامداً وجواد الثالث جامحاً . والثالث لا يمكن الاعتماد عليه ، لأنه يريد أن يجتاز الصحراء ، على جواد ، ولو أدى به ، الى الموت ... وهذا لا ينطبق على العقل ، لأن للصحراء ناقة تجتازها آمنة !!!

ومع هذا ، فالثاني مجتهد ، ولكل مجتهد نصيب ، رغم أنف أنانته . والثالث جميل ، وأجل منه ، حكمة الرابع ، الذي يرغب ، ويريد الثورة الفكرية — لا الدموية . العملية — لا الوهمية . وفي هذه الثورة السامية ، يصل المجتمع الى الاصلاح المنشود . وفي هذه الثورة العادلة ، يتمكن الحكيم من التوفيق ، بين الجامد والمتحرك ، والجامح . فالحكيم يحتفظ بمعدن الأول ، ويحسن قشور الثاني . ويستفيد من سرعة الثالث . فمن المعادن ، يستخرج جواهرها ليجعلها عقداً ... ومن القشر يستغل عصيره ، ليجعله ترياقاً ... ومن السرعة ، يأخذ شعار الحياة : الوقت من ذهب . ليشغله في

اكتشاف سر الطبيعة . ومتى انجحت أسرارها ، ارتقت المادة
الميكانيكية... ومتى ارتقت الحكمة، استنارت القلوب بالحب . والحب
يجعلها في مجرى مستمرة، فحادثة لاسلكية... وعندها تتآلف القلوب
وتتحد، وترتبط برباط المحبة الشاملة... ومتى رفعت قصور الحكمة ،
عرف الانسان نفسه . ومتى عرف نفسه ، عرف ربه . ومتى عرف
ربه — وانه رب العالمين . عرف واجبه نحو قريبه . ومتى عرف
واجبه نحو قريبه ، عرف من أين جاء، ولماذا جاء، والى أين يذهب...
ومتى عرف كل هذا ، واتبع الحكمة . تلاشت الحدود ، وتقربت
المسافات، وتوحدت القلوب ، وتأييد السلام، في البر والبحر والهواء
والحب أصل كل حياة... واعلمن أن هذا المؤتمر ، هو بدء حياة
جديدة ، في عالم المرأة... والسلام ختام... .

فرفض الاجتماع، بعد أن قوطعت الحسناء ، بالتصفيق الحاد
والهتاف المتواصل ، عند كل كلمة بالغة... وفي اليوم الاخير
اقامت الحفلات . وختم المؤتمر اعماله... والاعضاء غادرن
الازرق . وهن متشبعن ، بالافكار الحرة ، ومعتبرن أنفسهن ،
بأنهن ، رسل المؤتمر في الشرق... .

مرضى الحسناء ونومها

وضعت الحرب اوزارها ، وفاز صاحب نجران ، بامارة
السويداء ، بعد جلاء الامير يحيى الى عرى . كما فاز عزيز ،
بتحرير النفوس ، من شر الحروب . وتخليص حياة القائد المصري ،
محمد شريف باشا ، من الاغتيال . وبدأت احلام الامير فارس ،
تتحقق ... مستنداً على نفوذ الامير خليل ، ووعوده ...
واما الحسناء ، فبعد أن فازت ، بمشاريعها الاجتماعية .
شعرت بخوار ، في قواها ، وانها بحاجة الى رفيق يسندها ، والى
حبيب ، يعطف على جماها . وعلمت اخيراً ، او تحققت ان سلطان الحب
يرشقها بسهامه ، وان الانسان لا يعيش وحيداً ، وان القلب للقلب
دليل ... خضعت تحت تأثير العاطفة الجموحة ، العاطفة الوثابة ،
وهي خائفة من غدر الزمان . فانطرحت في فراشها ، دون أن
تعي على شيء ...

مرت الايام ، والحسناء مريضة . ووالدها ، لا يفارقها لحظة
واحدة ، وهو مجهل سر مرضها ... وفي كل يوم ، يراها في
تأخر مستمر . فضلاً ، عن صمتها ، الصمت المميت ... وعند .

تقابلها عصمت ، حاملة اخبار الحبيب . تنفس الصعداء قليلا ،
كأن الدواء الوحيد ، هو عصمت ... فاستغرب والدها الامر ،
وتقدم الى فراش ابنته ، وجلس بقربها ، ووضع يده على رأسها ،
يلعب شعرها الذهبي ، وبصره ، في بصر السيدة عصمت وقال :
- اريد أن اعرف مرضك ؟

- مرضي هنا ؟ وإشارة الى قلبها ...

فاشكل عليه الامر أولا . ولكن ، بعد أن لحظ ، تبادل
الاشارات ، بين كريمته وعصمت . علم أن السر ، في القلب ، فقال :
- هل لك رغبة في الزواج ؟

- نعم ... ولا ؟ !

- اريد الصراحة ... اريد أن تكشفني سر قلبك ؟ ! ! !

فنعم ولا ، لاقيمة لهما عندي ...

- صبراً يا ابي ... سأكشف لك الامر ... موني وحياتي ،

بين يديك ، فان رغبت في احداها ، فانا لك طائعة ... لانني

عمدت ان اغضب السماء والارض ، ولا اغضب والدي الحنون ...

- لم افهم بعد يا مرم ... افصحني ؟

- الموت ، اهون علي ، من غضبك ؟

- لا داعي للغضب يا بنيتي ... فوالدك لا يغضب منك .
 وكيف يغضب منك ، وهو يثق بك ...
- اما الحياة يا ابي ، فهي بين شفقتك ...
 - اذا كان هذا عنها ... فاني اهبك اياها ...
- كلا يا ابي ... بل هي غالية ... وغالية جداً ...
 - ولكن حياتك عندي ، هي أغلى شيء في الوجود ...
 - وحريتها وسعادتها ؟
- أريدها ، متمتعة ، بكامل معاني الحياة ...
 - لهذا يا ابي ، انا مريضة ...
- كيف ذلك ؟
- لأن علي في قلبي ... لاني احب ... ولاني لا املك
 هذا الحب ...
- فوالدك يهبك الحياة والحب ...
- بورك الله فيك يا أبي ... فانت تشجعني ... فانت تدفعني الى
 التصريح ... ولكن هذا التصريح ، سيكون خطراً على حياتي ...
 كما سيكون ، معجزة الشهامة والحرية ، في القرن التاسع عشر ...
 - من يمسك بوردة ، أمسه بطعنة خنجر ... ايكفيك هذا ؟

- لاشلت يداك ... أنا أحب يا أبي ؟
- وأنا أوافق على هذا الحب ...
- والذي احبه يحبني ؟ ..
- هذا ما أريده ، وهذا ما أرتاح له ...
- والذي يحبني ، غير مرغوب فيه ، من الدروز ؟ ..
- يكفيك رضاء والدك ...
- هذا ما أتمناه ؟
- وهذا ما يتمناه والدك ...
- والذي يرغبونه لي ، لا أرغبه لنفسي ...
- هم أحرار ، ونحن أحرار ...
- وأما الذي أحبه فهو ...
- اليس هو درزي ، وكفى ؟ ..
- ...

من أي ملة هو ؟

- يالك من شهم ... وقد عادت اليها الحياة ، بعد ان شجعها
- والدها بنظرة ، وطوقها بحنوه ... فنهضت من فراشها معافية .
- ونظرت بعينيها ، الى عصمت ، كأنها تستأذنها الكلام . فلمحت

على وجهها ، بوادر السرور والارتياح . فقالت وهي ترقص طرباً:
فالحرية يا أبي ، هي سعادتي . وتحرير نفسي ، هي امنيتي
دربتني على الفروسية ، وأنا لا أحب ، الا الفارس الازرق . . .
ورثتني الشهامة ، والكرامة ، وأنا لا أحب الا الشهم العزيز
الكريم . . .

عامتني المثل الاعلى ، وأنا لا أحب ، الا المثل الاعلى في الحياة . . .
طوقت عنقي بعلم ، اكبرت فيه الحب ، والحرية . . .
.....

اكبرت نفسي يا أبي ، فانا لا ارضى بها ، وانا اميرة الرق
والعبودية . . . فالشرف الرفيع لا يروق لي ، الا اذا نلته بدمي ، وماء
الحياة لا أشربها ، الا اذا سكبت بكأس الحنظل . . . وأما الشراب
فلا أصبهه بآنية بلورية ، الا اذا كان طعمه طاهراً ، ولذيذاً؟ فالشراب
جيد يا أبي ، والآنية من معدن كريم . . . ثم ثارت عواطفها ، الى
ان انفجر صدرها ، وقالت :

مرمر التي عامت النساء ، كيف يجررن أنفسهن ، وكيف يصلحن النسل
باختلاط الدم النقي . . . ويختزن رجالهن . . . وكيف . . . وكيف . . .
أفلا يحق لها ، ان تعلم نفسها ، هذا الدرس الفاسي ، أرتوت؟! !!!

فوقفت عصمت، ومسكت بذراع مرمر، التي ارتمت على عنقها،
وقالت :

- لا معنى للحياة مع اليأس . . . اليس كذلك ، ياسيد الشهامة
والمعروف ؟

فتألم الشيخ حارس قليلا ، ثم ضحك ضحكة السرور، على شفاء
ابنته ، وقال :

- ألا يحق لي ، ان أعرف اسم حبيبك ، يا مرمر ؟

- عفوك يا أبي . . . فهو عزيز ، أو الهدهد ، كما يسمي نفسه . . .

- هو شاب ظريف ، وقد اختبرته كثيرا . . . اليس هو مسلم ؟

- مسلم يا أبي . . .

- نعم الاسلام . . . اليس هم ، موحدين بالله كالدروز ؟

- هم أشد تمسكا ، بالتوحيد ، يا أبي . . .

- أما العقيدة ، يا مرمر ،

- العقيدة الصحيحة ، في القلب ، يا أبي . . .

- سر الله بيننا يا عصمت . . . وعليك بعزير لمواجهتي . . .

ومباركة انت ، بين النساء ، يا مرمر . . .

- عاشت المرؤة والشهامة فيك ، يا ابر الآباء . . .

ثم قبلها في جبينها ، علامة الرضى . وهي قبلت راحتيه ، علامة الاحترام وبينما هي كذلك ، شعرت بدمعة حارة ، سقطت من مآقيها ، كانت آخر قطرة ، من دواء مرض القلب

في ضيافة الأمير فرقر :

في منتصف شهر كانون الثاني (يناير) سنة ١٨٣٨ خرج ركب الحسنة من الأزرق ، متزودا برضى الحارس الجليل ، بعد ان تقدمت عصمت ، وقدمت الى عزيز ، ظرف مختوم ، ومكتوب عليه ، هذه العبارة : هفواتك الاولى يجب ان تحرق

فأخذه عزيز ، وناوله الى الحسنة وقال لها : هذا هو اعترافى العظيم
فأن شئت حرقتيه ، وان شئت حفظتيه ، وان شئت أبجتيه فأخذته مرمر ونظراتها النورانية ، لا تفارق نظراته الناعسة

فسار الركب ، في طريق شرقي الاردن ، تاركا الامير فارس ، يحلم بالسويداء . وفي مقدمته الفارس غصوب كالاسد الغصوب . ثم رجاله الاشداء ، فرجال الحارس ، فعزيز ومرمر ، فكوكبة عصابة عزيز المؤلفه من نخبة الفرسان . والفارس الاسود يحوط بالركب ، كأنه عفريت

من غفارت الانس - لا من الجن. ولم يصل قرب عين ماء، حتى توخت
الجمال، ونصبت الخيام، واوقدت النار، وانهمكت مرمر مع بعض
النساء اللواتي، لم يردن مفارقتها. ومنهن أم غصوب، في تجهيز مناسف
الطعام (١) كما لو كانت في منزلها. وهكذا في كل صباح ومساء
الى نهاية الرحلة .. مما برهنت، على حسن استعدادها، للعمل اليدوي
كما برهنت عن عظمة حكمتها، في العالم الاجتماعي العالمي ...
ولم تغب الشمس، حتى اقبل الامير فرقد، مع رؤساء عشيرته
وقدم الفارس غصوب، من الهدايا والطرش، الشيء الكثير ...
ترحيبا بمقدمهم ومقدم الحساء. ثم دعاهم جميعاً لخيامه، القريبة من
العين ... فقبلا دعوته ... وفعلاً أقام لهم حفلة عربية، تجلت فيها
الحاتمية ... والذي ادهش المناظر، حلقات الرقص. حيث كانت
النساء فيها، آية في الجمال، وحيث كن يرقصن بمفردهن، والرجال يرقصون
بمفردهم ... وبين الفريقين، حلقة واسعة من الشبان والشابات،
يعكفون على الطبل والزمارة والغناء ... وكما مر الضيوف، بين
الراقصين والراقصات، والمغنيين والمغنيات، يهللون ويكبرون
لضيوفهم ... ويهتفون بالحسنة، بالسعادة والهناء ...

(١) راجع تاريخ جبل الدروز للمؤلف

وبينما كان عزيزاً، اخذاً بيد حسائه، والامير فرقد، وشقيقته يديران
امامهما. لمحت مرمر، سيدة مقعدة، في زاوية الصيوان الكبير.
فتبينتها، فاذهي، المرأة الجريحة؟ فتقدمت اليها، ومدت لها
يدها، بعد أن عامت علاقتها بعزير، وقالت لها: اتعرفيني ياسيدة؟
فتفرست فيها قليلاً، والالم النفساني، قد برح بسعاد الى ابعده
حد. حيث شاهدت عزير، بجانب حسائه. فتأكد لها في هذه
الساعة الرهيبة، ان عزير، ودعها الوداع الاخير... فرجحت
عندها، كفة الهوى والانتقام. على كفة العقل والسلام، فبأست.
وعمدت بدافع هذه الغريزة، الى التخلص من شقائها. بعد أن
وجدت، او توهمت انها وجدت نفسها، اضحوكة امام حبيبها
عزير؟! لا يمكنها الوقوف، لتضارع حسائه بطلمعتها، وكيف
لها أن تضارعها. وهي مقعدة... كأ كبر المعجائز... فغضبت
وتهددت... ثم تناولت خنجرأ، ووجهته الى صدرها، وهي تقول:
عش سعيداً يا عزير... سامحك الله... ثم انتقمت من نفسها
بطعنة في صدرها... فسقط رأسها، وتدلياً على اقدام الحسناء...
وشبهت شقيقة عظيمة، كانت الخائفة... وكان هو الموت...
فتقدم عزير الى مرمر وقال: معهما ضمنت ارادة الرجل،

فالمرأة اضعف . . . كان يجب عليّ ، ان لا احملها على هذا الشقاء . . .
انا المجرم . . . انا الذي دفعتها الى اليأس ، الى الجريمة . . . التي كانت
ويلاً عليها . . . ثم صارت شوّماً على نفسي . . . وعندها دفن وجهه
بين كفيه . . . واجهش في البكاء . . . فاخذته مرمر بين يديها وقالت :
لا ياعزيز ، فالذنب ذنب الفتاة ، التي تسلم عرضها ، على قارعة
الطريق . فالشاب ، اجبن من أن ينال حظوة ، في عين فتاة . اذالم
تدفعه اليها . فالعرض غال ، وغال جداً ياعزيز . فيجب على الفتاة
ان تحتفظ به . وكل فتاة تلقيه على صدر شاب ، تسقط ، ويكون
سقوطها عظيماً . . . فعلى الفتاة ان تحب وتعشق ، ولكن لايجب
أن تحب وتعشق ، غير اسمها وعرضها أولاً . واذا اقتضت التضحية
فلتضحى بحبيبها ، الذي يريد اهانته . . . ومن هذه الالهانة العظمى
اعتبره خائناً ، لا يستحق هذا اللقب الشريف ، لقب الحبيب . . .
ومع ذلك ، قف ياعزيز ، فانه غفور رحيم . . .
وأما الامير فرقد ، فقد كان كالمأخوذ ، من حكمة وصرامة
الحسناء . وهي لم تتجاوز بعد ، التاسعة عشر ربيعاً ، من عمرها
— مع أن سعاد ، قد جاوزت الثلاثين — الى أن تقدم ، الى أمامهما

مع شقيقته المعجبة بمرمر، أي اعجاب . وقال : حقاً ان طابخ
السم آكله ...

وبعد أن واروها التراب . كتب الامير فرقد ، على قبرها : هنا
ترقد الرذيلة . فتقدمت الحسناء ، وانتزعت اللوحة عن قبرها
بلطف ، ووضعت غيرها ، بعد أن كتبت عليها :

﴿ هنا ترقد ضحية الضعف البشري ﴾

في طريق الصحراء

بعد الاتفاق مع الفارس غصوب ، والدرزية الحسناء . تقرر
بينهما ، الذهاب الى جبل عرفات ، وشاركهما الرأي عزيز . ولما
علم الامير فرقد ، بتصميمهم على الرحيل ، في طريق الصحراء .
أصحابهم بفارس نشيط ، لا يوجد انشط منه ، في اجتياز طرق الحجاز
ودروبها . ثم أصحابهم بخمسين فارساً ، من أشد فرسانه . وزودهم
بكامل ما يلزم من جمال وأغنام . معتذراً عن نفسه ، بصفته
والدأ لعشيرته . . .

وعند مطلع الهلال ، بدأت القافلة بالسير ، وفي مطلعها ، الدليل

الذي سار بها نحو الحجاز... والصحراء كلها مخاطر كالبحار ، لا يعرف
كنهها ، الا من اجتاز صعابها ... جبالاً من الرمال ، تتحرك
بسرعة الريح ... وتلال تدفن تحتها ، من تلحقه عاصفة هوجاء
يموت عطشاً أو جوعاً ، كل من يفقد منه الزاد ، أو الماء ... هلاك
محقق ... اذا ضل الطريق ... رمال تطمس الطرق ، التي يعتمد
عليها سالك الصحراء ... يستغيث ولا من مجيب ... ينادي
ولا من يسمع ... يدفن بلا رحمة ولا من يشفق ... لا يد
تساعده ... ولا انسان يبصره ... أحياناً وأحياناً ، تدخل القافلة
في مناطق الرمال ... فتدفنها الرمال ... ولا يعود يسمع عنها
شيئاً ... وفي هذه الصحراء المرعبة ، والمخيفة معا ... سار
الركب معتمداً على رحمة الله ...

في ارض الحجاز

وصل الركب آمناً الى المدينة المنورة . فبدأ القوم باقامة
فريضة الحج . وعزيز يترنم بقول الشاعر :

« أمر على الديار ديار ليلي اقبل ذا الجدارا وذا الجدارا »
« وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا »
ثم سار الركب ، ووجهته مكة المكرمة ... الى أن وصل الى
طوى ، فاغسلوا جميعاً من بئرها... وساروا من كذا ، وهي طريق
بين جبلين ، وهبطوا على المقبرة الشهيرة ، لروضة أم المؤمنين
خديجة ... حتى دخلوا الكعبة ، وطاقوا حولها . مبتدئين من
الحجر الاسود ، الى أن اختتموا به ، بعد سبعة أشواط ...
وبعد الزيارة ، دعاهم امير الحجاز ، الى خيامه ... وهناك
قامت الافراح والمسرات بين القوم ، لنجاتهم من المرحلة الاولى .
وبينما كانت الحسنة جالسة بين القوم ، وهم يقومون بالذكر
بطرق عصبية جنونية ، تكهرت . وبينما هي على هذه الحالة ... مر
امامها شخص رث الثياب ، ملوث الوجه بالآوساخ . وطلب منها
حسنة ... تأملت مرمر في الرجل ، باستغراب ، حيث كان غريب الشكل
لم يسبق لها ، أن رأت في الجبل متسول واحد ، ثم خاطبت نفسها بنفسها :
يجب أن تمحى لفظتي الكسل والاحسان ، من قاموس العالم
واستبداهما ، بلفظتي الواجب والعمل . والحسنة تولد الكسل والفساد .
والواجب يولد العمل المثمر الناضج . ثم قالت المتسول :

- ماهو العمل ، الذي تكسب منه قوت يومك ؟

- يجود علي الطيبين بما لهم ...

- حسن ، ولكن لماذا لم تعمل عملا نافعا ...

- اكتب حجبات ؟!

- اكتب حجبات ، وتدعي الغيب ، وتستخدم الشيطان ،

شيطان نفسك الامارة ... اليس كذلك ؟ ..

- والله لقد صدقت يا حسناء ...

- اسمع يا هذا ... وكان صدرها البارز ، يعلو ويهبط ، من

شدّة انفعالها، على حالة هؤلاء المساكين ، ثم قالت :

- من الخرافات ، ان تعتقد الناس ... ان للجن سلطان على

اعمالها ... وان يؤمن الناس، بالحجبات والشعوذات ، ومعرفة

الغيب ... فانا اقدم لك ، خمسين مدورة من الذهب، على أن تقوم

في مجارة، يمكنك بها، أن ترضي ربك وضميرك . بالامانة والمعاملة

الحسنة - والدين معاملة . ثم انزع ثيابك البالية الرثة، واغتسل -

بالتظافة ، من الايمان ...

- ان شاء الله، سأكون عند حسن ظنك بنى، وساخدم الحجاج

بتجارتي خير الخدم ...

وكان الجمهور يسمع كلام الحسناء، كأن على رؤوسهم الطير ..
ثم انتقلت الى مضافة الأمير، وبرفقها أخيها وحبيبها ... فاستقبلهم
الأمير خير استقبال . وبعد ان استقر بهم المقام، وجه الأمير كلامه
الى الحسناء قائلاً :

- والله يا غادة الصحراء، سوف لا تجدين، في هذه البلاد، الا
مدينة نائية ... ومدينة قحطاء ...
- لماذا يا أمير؟ ... لنعرف أولاً ما هو تعريف المدينة ...
تعريف المدينة: القناعة كنز لا يفنى. الصراحة في القول والعمل.
الوفاء بالوعد. الرفق بالانسان. الاخلاص الاكيد. المعروف
بالمعروف. والعدل أساس الملك ... وانه لا يجوز للانسان، ان يريق
دم أخيه الانسان؟ اليس كل هذا، متوفر في هذه البلاد يا أمير؟
- والله يا أميرة العرب، ان كلامك كله على حق. فالمدن التي
افسدتها يد الاجنبي. قد جعلتها لا تشعر بالمدينة، الا بكثرة القاطرات
وزيادة السيارات. والتنوير بالكهرباء. وبناء القصور. والتزين بالالماس
والادمان على المسكر. والاكل على فرنسي. وانشاء المراقص الخلاعية
واعلان الحرية المزيفة. فضلا عن الكذب والغش، والمكر والخداع ...
حتى الرياء ... وهو الذي يسمونه الذوق العصري ... فهذه المدينة

بعيدون عنها، بعد السماء عن الارض. وأما المدنية الصحيحة، فهي التي، اشرت اليها في كلامك ...

- ما هي قوتكم الدفاعية؟

- والله، أما القوة في نظر الغرب، فهي المدفع. الذي لا يعرف خيلاً، ولا يصادق صديقاً. وأما عندنا، فهو السيف، الذي ينصف الحبيب، وينصر الضعيف، ويقول للخائن: لا يسلم الشرف الرفيع...

- وما هو الحق عندكم؟

- والله، فالحق هناك للمنتصر المغتصب... وأما هنا، فالحق للضعيف، المغلوب على أمره. وكلمة الحق: ان الضعيف متى كان على حق، أحب الموت على الحياة. ولا يرجع باذن الله، الا فائزاً منصوراً

- وما هو عدلكم؟

- والله، أما العدل، فواسع النطاق يا أميرة... فهناك يحكمون بأشد العقوبة، على كل من يسرق، كسرة من الخبز ليميش. ويطر حونه في اعماق السجون، فضلاً عن حرمانه من الهيئة الاجتماعية. وأما كبار اللصوص، من الرايين والمحتكرين والمغتصبين، فيجلسونهم على اكبر المقاعد، ويلقبونهم باعظم الالقاب... فضلاً عن الامتيازات التي تمزهم، عن باقي البشر، في الهيئة الاجتماعية...

وأما هنا، فنعطف على لص، يدخل بيوت الاغنياء، ليسرق منها
كسرة عيش، ليسد بها رمقه، ورمق عياله. ولكن، قد نحكم بأشد
العقوبات، حتى الحد الشرعي — قطع يد السارق — على اللص
الغني، الذي يدخل منازل الفقراء، ليسرق ما لهم وزادهم...
— بارك الله، في هذه الارض المقدسة يا أمير... —

وقفه على جبل عرفات :

وبعد الاحتفال والغذاء، وتقديم العلف والماء، للجمال والخيل
ركب الراكب، قاصدا جبل عرفات .. والحساء تناجي نفسها، بنفسها :
ان حسدت الصبية، طيور السماء، على الوان ريشها الجميلة. وحسدت
العجوز، زهرة الزنبق، على نضارتها وشبابها. فانا، لا أحسد هذه
الارض المقدسة. وانما أرجو التفوق عليها، بالمدد الالهي، لانشاء
حجاز جديدة، في العالم الجديد ...

وفي سكون الليل، بعد ان سكنت الاجسام في الكعبة، وصل
الراكب، الى جبل عرفات، في ليلة البدر. والوجوه زاهية كجوها،
والقلوب منعشة كنسيمها... وهنا ظهرت حركة جديدة، في نظام

الركب. حركة دبرها الفارس غصوب، اذ أمر رجاله، ورجال الحارس
والعصبة، ان يصطفوا على يمين الطريق وشماله. مشهرين سيوفهم
ورؤوسها تقبل بعضها، ليصبح الركب با كمله، اقواس نصر، تجتازها
الحسناء وعزيزها عزيز. وآخر الصفوف يتبعوها، مخترقين أقواس
النصر، الى ان يدركوا جميعا اعلى الجبل... وقد ادرك عزيز،
موقفه المهيب. كما أدركت مرمر موقفها الجليل.. فسارا... الى
ان ادركا القمة لوحدهما. وقد تأخر الركب عنهما، ليتراك لهما
الحرية لمناجاتهما...

وهناك على القمة المقدسة، نفيخ بوق الحرية، والامانة، والاخلاص،
يعلن زواجهما..

وهناك امام الله سجدا، والطبيعة اقسما، على أن لا يدخل
بينهما، مشركا، ولا دخيلا. وان الارض ومن عليها وفيها، موطن
الانسان الكامل - ولا يكمل الرجل الا بالمرأة...

ثم وقفوا، على طور المناجات، وقفة حضور مع الله، وغيبية
عما سواه، من بني الانسان. وناجياه، بعد زوال شمس الكون
واشراق شمس المكون الاعظم... فكانا، وهما فوق عرفات،
كأنهما على طور سينا المناجات... متلهيان شوقا، الى رضاء ربهما
على مايفعلان...

ثم دفعهما ، بعد غروب شمس افقه المبين ، بشروق شمس
افقه الاعلى ، نار حبهما ، نحور بهما ، حسا ومعنى ، ليكون ثالثهما ..
ثم تسارعا ، في وقت ، يزل الحق سحرا ، ليقتحما العقبة ،
ومن جوارحهما ، المجرحة متبرأين . فيرميان حجرة العقبة .
ويرميان مع كل حصاة ، جارحة من جوارحهما ، السبعة : السمع
والبصر ، والشم ، والذوق ، والامس — قال لولب والفرج ... وبعد أن
رماها عزيز ، شعر أن باب النار قد قفل ، وباب النور قد فتح
(وجعلنا له نورا عشي به في الناس) فاصبحا : نور على نور ...

شهر العمل بين الرياض

ثم تجددت قواها ، اذ عادت الروح الى الجسد ، بعد
طوافها ومناجات ربها . وبعد أن أعطى كل منهما ، مال الله لله ...
ولكل وقت حكمته ... تقديما ليعطيا ، مال قيصر لقيصر
وهما منفردان ...

وهناك ، سجرهما الجبل ، بخضرتة ، ومائه ، وثماره . كما أذهلها
بسحر نسيمة ...

وهناك ظهرت من عزيز ، ابتسامات ، وسكنات . ثم حركات

فمناجاة ٠٠٠ جعلت مرمر تتجداه ، بعد أن اخذتها سنة من النوم
جعلتها في غيبوبة ، ولا غيبوبة التيه في الصحراء . فخلعت معطفها
الحريري ... فشف عن ذراعين كالعاج . وتدين كالممر ٠٠٠
وهبطت من الصخرة ، على صدر حبييها ، الذي كان ينبض ،
ولا نبضات رنات العود . فتلقاها ، واخذها بين ذراعيه ، ورفعها
الى مافوق صدره ، وقبلها قبلة حارة . وقال : هذه هي القبلة
الاولى ، وهذه هي الرابطة الزوجية الحققة ... فهيامي يا عزيزتي ،
في جبل عرفات ، هو هيامي بما يكنه الجبل ، من معنى الحياة ،
وذكريات الحب . وها قد قرأت ، على تلاله ، فلسفة الحب ، من
حواء الى مرمر ... والحب فحسب ...

وهنا خطرت الحسناء ، خاطرة . كهريبتها ، من رأسها ، الى
موطئيء اقدمها . خاطرة تقلب التاريخ ، رأسا على عقب . خاطرة
تجدد على هذا الجبل المقدس ، ذكريات آدم وحواء . ذكريات ،
تعارفهما وحبهما ... الى أن ارادت ، فعمدت على تنفيذ خاطرتها
فتقدمت الى عزيز ، عارية ... وشعرها الذهبي ، مسترسل فوق
كتفيها ، يسترها الى مانتحت ... ووضعت يدها ، على شعره
الاسود ، الجميل المموج . واخذته بين ذراعيها ، واخذها بين

ذراعيه ... وقبلته وقبلها - قيلتان... هما عهدهما المقدس ... عهد
الدرزية الحسنة ، وبطلها العزيز ... عزيز وادي النيل ...
ثم سترته بشعرها ، ليمثلا أعظم العاشقين في التاريخ ...
وقدمت له تفاحة حواء ... فتقبلها شاكرآ ... حيث كانت لهما :
زادا جسديا ، وحياة روحية ، جديدة ...
كما كانت لادم وحواء ، حياة لهما ، وانسلهما - القديم
والحديث ...

وهنا انتقلا ، بروحيهما ، الى مافوق الافق الاعلى ، فرأيا الدنيا
كلها ، في صورة عجوز شوهاء ... وهما ... وهما وحدهما ، في
رياض ، كلة : غرام وهيام - علامتهما : ماء وهواء وبهاء ...
فعلى جبل عرفات ، عرف آدم حواء ... وعلى تلال الحب ، عرف عزيز :
الدرزية الحسنة ...

.....

في ارض الحيرة :

وبعد انتهاء ، شهر العسل ، بين رياض الجبل . قصدا جدة
وبرفقتهما الركب ، ومن هناك ، عاد الركب الى جبل الدروز .

والدموع الصامته ، كانت خير معبر ، عما تكنه أفئدتهم ، من
اللوعة والالم ، على فراق الحسناء ...

ثم اعتلى ، كل من عزيز ومرمر ، وغصوب وأمه ، والفارس
الاسود من الباخرة ، التي أقلتتهم جميعاً ، الى الديار المصرية ...
ومنها أبحروا ، من ثغر الاسكندرية ، الى ما وراء البحار ...
الى العالم الجديد ... الى الحرية والحياة ... الى الجمهورية الفضية ...
التي تحررت حديثاً ... ورفعت علمها الوطني ، بين أعلام الدول
العظمى ... ولم يتعد عزيز ، عن ربه ، وينفرد بمرمر ، على ظهر
الباخرة ، حتى طوق الحسناء بذراعيه ، وصاح باعلى صوته قائلاً :
من السويداء ، ظهر نجم الدرزية الحسناء ، وليد التقاليد النائية ..
وعلى سفح جبل عرفات ، عرفت النجم كاملاً ، زاهياً بالمحبة ...
وفي وادي النيل الفياض ، سطع نوره المقدس ، باشعة الرياض النامية .
هنالك ظهر وغاب . وهناك ازهر وأحب . وهنا بهر وجاب ...
فرفعت الحسناء رأسها ، الى الرفيق الاعلى ، متضرعة شاكرة وقالت :
اذا كان حب الآخرين ، أوله حلوه ، وآخره مر . فحبنا كان
اوله نار ، وآخره ، نور على نور ...

القاهرة ٥ ديسمبر سنة ١٩٣٠

جميع حقوق الطبع والترجمة والتعميل والسينما محفوظة للمؤلف

كلمة الناشر

إذا اراد الانسان ، أن يقوم بعمل مشر ، وجب عليه الاتقان . لهذا ، بعد أن فشت الامراض الاجتماعية ، وتفككت عرى الزوجية ، وتاهت الشبان والشابات ، في معترك هذه الحياة . كالسفينة في وسط محيط ، احاط به الجراد ، والكل يتساءل : هل تفضل الطبيعة ، فتدك الجبال الثلجية ، من حوالها دكا - لتسيل ، وتسير آمنة مطمئنة ، الى ميناء السلام . أو تقسو . فتتركها فريسة الالهواء ، في ذلك المحيط المخيف . . . ولهذا طلبنا من حضرة الاستاذ البحارة السيد حنا ابي راشد صاحب « الرحلة الشرقية العامة » والمؤلفات القيمة أن يتحفنا ببعض ابجائه الجليلة ، ونظرياته العامة العملية الحادة ، التي صاغها في قصص كاملة ، مما اختبره برحلاته الواسعة ، عن عظماء الامم وصعاليكها ، كبيرها وصغيرها ، شيخها وفتاها . وصورها ، تصويراً اجتماعياً تاريخياً . أظهر فيها ، تجليات - مظهرها ذاء ، وباطنها دواء . كما أزاح الستار عن غمها وسمينها ، صالحها وطالحها : متخذاً ناحية الاصلاح ، ما استطاع اليه سبيلاً ، في هذا الزمن - زمن العجائب والغرائب - حتى لا تلهو ، الشبان والشابات ،

للأحداث والشيوخ ، بالقشور دون اللباب ، والتمسك بالعرض
دون الجوهر . وحتى لا تلعب بنار اللهب ، وتترك نور الحب ...
وعليه ، فبا كورة أعمالنا ، تقديم السيد الاستاذ للقراء الكرام
كما قدم السيد الرحالة لنا ، وللمجتمع الانساني با كورة قصصه :

الدرزية الحسنة

أميرة الصحراء وآلهة الحب والحرية ...

خليل بابا

مدير مكتبة سابا ومطبعتها

والمكتبة:

مستعدة لتوريد ما يطلب منها من الكتب بأنواعها بسرعة
متناهية وبغاية الاتقان بالعمل وحسن المعاملة . كما تتولى نشر كتب
المؤلفين في الداخل والخارج وشعارها :
عزيمة ثابتة وإرادة حية

والطبعة:

تطبع كل ما يطلب منها طبعه بمواعيد محدودة وشعارها :
الصدق والامانة

قصص الرحالة الشرقية

لمؤلفها

حضرة البعثة (الرحالة) والكاتب الاجتماعي المفكر

بِحَسْبِ الْإِشْرَافِ

تعتني بنشرها وطبعها

بِكَبِيرِ تَبَاوُؤِ طَبْعِهَا

الأولى : المرزبية الحسنة

الثانية : فتاة عاصري

الثالثة : غارة المراو

الرابعة : ربيعة الوهاية

الخامسة : أميرة النيل

السادسة : تريا سوريا

السابعة : التركية الفاتنة

الثامنة : زهرة ابراه

التاسعة : وردة الصبي

العاشر : اليابانية السامرة

الأحدى عشر : الورقة البهرائية

الاثني عشر : اليهودية المزيفة

الثالثة عشر : المسيحية الناضرة

الرابعة عشر : المسلمة المتصوفة

الخامسة عشر : ملكة الجمال

كل سفر هو الأول من نوعه * وكل قصة كاملة بذاتها
وراءها جميعاً، فلسفة الحب، مديحة، بقلم سيال، وفكر عبقرى
شعارها :

الرجل رأس المجتمع الانساني، والمرأة قلبه ... والويل لمن لا يحترم
قلب المرأة، ويحتفظ به ... (جميع الحقوق محفوظة للمؤلف)

مميزات هذه التحف

- ١ — تدريب المرأة الشرقية ، على أحدث التطور الحديثة ، وتوحيها أسس المبادئ الاجتماعية .
- ٢ — استقلالها الفكري ، وشذوذها عن السخافات ، والتعنتية ، وتوحيد الجامعة الانسانية ...
- ٣ — عنايتها ، بأغرب الحوادث التاريخية ، مع اختيار أدب المساجلات الغرامية ، على مبدأ : لا يكمل الرجل إلا بالمرأة .
- ٤ — رفع مستوى الفتاة الشرقية ، وتنويرها ، للوصول إلى الكمال الأكمل ، في الحب والواجب ...
- ٥ — اتقان طبعها ورموزها ، بنزاهة ومحبة وإخلاص ...

وكل منها

مستقلة بروحها وشكلها وأسلوبها :

تميزها فكرياً

قلمها

قلم رحالة — سداه ، دم المرأة . ولحمته ، دموعها ...

قرطاسها

بساط الامم المغلوبة على أمرها ، ونسيجه : نور على نور ...

لبابها

فالوهية

فجمال

حب

ونقى

ذخيرة في جيب ، شباب القرن العشرين

يتغذى بمطاميرها!

قبل السيدات ، والفتيات قبل الفتيان ، والخاصة قبل العامة

انتظروا بحجة الرهن

التحفة الثانية

فتاة غاندي

الاشتراك:

بالحف التوت

اثني عشر قرشاً صاغاً

خالصة أجرة البريد

قبل الطبع

فتاة غاندي

غادة العراق

وربية الوهاية